عريس لبنت السلطان

الشخصيات

1 – السلطان شعبان الغازي – من سوء حظه أنه كان حاكما للمدينة وقت اكتساح التتار للعالم القديم. وكان التتار وبـ ـاء لا يمكن مقاومته كالطاعون. ومدينته لا تعرف أين هي. ولكنها بين بغداد وحدود مصر.

2 – أحمد الغلبان – شاب جاوز العشرين بقليل، وسيم، مرح باسم دائما، كثير الحركة. صعلوك له أخـ ـلاق الصـ ـعاليك: الاستهانة بالموروثات، والإيمان بقيم جديدة. يحمـ ـل رسـ ـالة خاقان التتار تيمورلنك إلى السلطان.

3 – الأميرة ذهبية – ابنة السلطان يحيطها جلال من نـ ـوع غريب، يعاملها الجميع في قدسية لا تنفعل كغيرها، كلماتهـ ـا واضحة حادة.

4 – أبو الكلام برهان – كبير المنجمين وهو منصب – آنئذ – يختلط بين العلم والدجل. أحد المقربين إلى السلطان، وأحد أعمدة السلطة.

5 – بهاء الملك – الوزير – هادئ بارد حكيم، يريد الخروج (مثل الآخرين) من محنة التتار دون خسارة، ربمـ ـا كـ ـان

شابا. وإذا لم يكن كذلك فقول المنـادي عنـه إنـه (زيـن الشباب) إنما هو من قبيل النفاق.

6 – عياش شارب الدماء – القائد. يحمل داخلـه تناقضـات كثيرة: فهو رجل السلطة وهو أيضا قائد من المفـروض أن يمارس دسائس السياسة، لكنه يحمل داخله وضوح الجنـدي، ككل الجنود محب للحياة والفساد والخمر ... سهل القياد من الأذكياء.

7 – فيروز الياقوتي – شهبندر التجار – لغته الوحيدة هـي البيع والشراء. وهمه الوحيد هو الدينار لا يحب ولا يكـره، لكنه يتاجر في كل شيء.

8 – المهرج – مهرج السلطان. ليس بالصورة التي تتـوارد في القصص القديمة. فهو إنسان عادي في المظهـر، لكنـه خفيف الظل. أتوهم أنه فنان هذا العصر وقد عبر عن نفسـه بالكوميديا المأساوية.

9 – عدنان: ضابط – نموذج واضـح للضـابط الصـغير، الشجاع، الشريف، الذي لا يرى أبعد من أنفه، مخلص لكـل ما يعتقد.

10 – منصور – منجم شاب. في خدمة أبي الكلام برهان، ولكن بقدر ما في برهان من دجل، بقدر ما فيه من ميل للعلم. وقد لا يكون هو الذي اخترع المدفع، ولكن المدفع اختراع عربي (إذ توصل إليه عالم أندلسي ورأى عرض اختراعه على الملك وكانت الأندلس مقسمة بين ملوك الطوائف، وتتعرض لهجوم منظم من الأسبان، وبقي العالم العربي عاما على أبواب الملك. فلما يئس منه، باع اختراعه إلى الأسبان، وبه أنهوا وجود العرب في الأندلس).

11 – شوق – ابنة برهان: فتاة متحررة في ذلك الوقت. تخرج إلى الأسواق. تحلم بالزواج من أي رجل.

12 – المنادي: يعمل مناديا في المدينة. وهو أيضا راوي لأحداث قصتنا. خفيف الظل دائما حركته خارج المسرح إلا في الفصل الثاني.

(... عندما يرتفع الستار
يكون أبو الكلام برهان كبير
المنجمين في غرفة الاستقبال
بقصره يعد لجلسة تحضير ملك
الجان ... أمامه موقد فيه
بخور يعبق المكان. وربما
ساعده صبيانه في هذا العمل.
في حين يطوف المنادي يحمل
طبلته معلنا الأوامر السلطانية،
ومن الأفضل أن تكون حركته
خارج خشبة المسرح).

المنادي – (مناديا) يا أهل المدينة الكرام، يا عزة الإسلام، يا فرسان الحرب وأرباب الكلام، يا خير أمة بين الأنام (متثائبا لنفسه) أريد أن أنام ... (مناديا) بعد التحية والسلام. إليكم هذا البيان الهام: من السلطان شعبان الغازي سيد السلم وفارس الصدام، قال أعزه الله، ودام: بينما المدينة تحيا في أمان الليالي وعز الأيام إذ حاصرها التتار (لا يجد الكلمة فيقول) حصار الصقور للحمام، أيها السادة الأفاضل. الزموا الدور والمنازل، وتحصنوا في القلاع والمعاقل، وادعوا بالنصر لمولانا السلطان، فارس الزمان وبطل العصر والأوان، والآن ...

(يترك الطبلة ويخاطب الجمهور)

والآن ... يا سادتي هناك اجتماع خطير، تنتظره المدينة على أحر من الجمر، الاجتماع هنا (يشير إلى بيت برهان) نعم في بيت سيدنا أبي الكلام برهان، علامة زمانه، وفريد عصره وأوانه، عبقري الحساب والجبر والفلك والكيمياء والسيمياء والسحر. وقد شرفه مولانا السلطان بتعيينه كبيرا للمنجمين.

وهو يتقاضى راتبا شهريا يوازي بالضبط راتبي في تسعمائة وخمسين عاما. ومـ ا يدهشـ ني أن منجمـ ا بارعا مثله لا يعرف ما تفعله ابنته شوق. ولو عرف لقتل نفسه حسرة ...

(يدخل الوزير بهاء الملك إلى برهـ ان ويتبـ ادلان حديثا صامتا، يبدو أنه حول حصار المدينة) .

المنادي – مولاي بهاء الملك وزير السـ لطان، احكـ م أهـ ل زمانه، وأعدلهم، وأعقلهم. لولاه لما كانـ ت مـ دينتنا عظيمة وثرية وشامخة ... لا يعيبه إلا بعض الهنات الهينات مثل الرشوة والمحسوبية (يـ دخل شـ هبندر التجار فيروز الياقوتي)

المنادي – السيد فيروز الياقوتي. أظنكم عرفتم منصبه، فحتى الأسماء تدل على المناصب. أفضل قناص في مدينتنا اسمه صقر، وأشهر مقاتل اسمه الرميحي. وأنا اسمي العريان، لابد أنكم عرفتم أن فيروز اليـ اقوتي هـ و شهبندر التجار. (يدخل القائد عياش لينضـ م إلـ ى زملائه).

المنادي – أذكياء أنتم ... والفضوليون دائما أذكياء. نعم انه قائد الجيش: عياش شارب الدماء. منتصر دائما ... مظفر أبدا ... راياته مرفوعة ... وإن لم يحارب في حياته قط. ومع ذلك فهو رجل شجاع، نبيل الطباع. يعيب عليه الناس أنه من هواة القدود السمهرية، والعيون المغربية، والشعور الذهبية. ولكنني لا أرى في ذلك عيبا، زينب بنت سنان التي يعشقها في هذه الأيام، وتتدلل عليه، تدير الرؤوس فعلا ... آسف ... ما كان يحق لي أن أقول هذا الكلام والمدينة محاصرة ... عيب ... (المنادي يلتقط الطبلة ويعود إلى النداء).

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... لقد هجم اللئام. ومزقوا عهد السلام.

(المنادي يخرج)

بهاء – ببساطة الموقف: فظيع ... فظيع ... فظيع

فيروز – إن المدينة تموت جوعا، والقوافل خارج الأسوار تحمل الخيرات.

برهان – هذه المدينة لا يقلق الإنسان عليها، لقد تعرضت لأحداث أكثر بشاعة، وفي كل مرة كانت تخرج ظافرة.

بهاء – لكنهم التتار هذه المرة.

عياش – وهل التتار لا يهزمون؟

بهاء – لم نسمع أنهم هزموا قط، لقد زحفوا من أقاصي الدنيا، واجتاحوا السند والتركمان.

برهان – (متأوها) وألقوا بكنوز العلم في النهر

عياش – لكل شيء نهاية. ونهايتهم على أيدينا بإذن الله

بهاء – ولكن كيف؟ كيف؟

فيروز – كبير المنجمين سيقول لنا، والله إن كلامه أحلى من الأصفر الرنان.

برهان – أطلب الصمت الشديد، لا أريد ثرثرة فما أفعله ليس عبثا ولا لعب عيال.

بهاء – نعرف، لقد تركنا أشغالنا وجئنا إليك لنعرف مصير مدينتنا ...

عياش – وكرامتنا ...

فيروز – وأموالنا ...

بهاء – بي شوق لأن أعرف مستقبل مدينتنا ... ولكن هل ذلك بالإمكان؟

برهان – (ساخطا) وهل فشلت في– أمر كهذا من قبل؟

فيروز – لا والشهادة لله.

عياش – توكل على الله فالوقت يمر.

فيروز – والقوافل واقفة خارج المدينة. حمولتها صارت تساوي ذهبا.

برهان – إذن الزموا الصمت. لا ينطق أحدكم بكلمة، وإلا انتزعت روحه. خطأ واحد يقتلنا جميعا.

(برهان يضع بخورا ويهمهم بكلام غير مفهوم)

برهان – بحق سليمان والأسهم والمرجان، من هنا إلى آخر المكان. بحق النور والبنور والظلام وأقدس الكلام. رمضان كركعان ... بحق سليمان اظهر يا ملك الجان.

(صوت مخيف، النور يظلم ويبرق، الرعب يجتاح الجميع فيصدرون همهمات خوف: يا ستار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يا رحمن يا رحيم ...)

برهان – (غاضبا) صمتا ... فأنتم في حضرة شـ مهورش ملك الجان. (يلين حديثه) مولانا العظيم وصـ احب نعمتنا ... هل شرفت داري المتواضعة؟

(الإضاءة تكون خافتة طـ ول حـ ديث شـ مهورش، وصوته الذي يأتي من الخارج مرعبا رهيبا هو فـ ي الحقيقة صوت منصور الذي سنراه فيما بعد صـ بيا لكبير المنجمين).

صوت – اللعنة عليكم ... ألا يستطيع ملك الجان أن ينام في هذا الزمان (الجميع يبدو عليهم الخوف).

برهان – السماح يا سيد الجان السـ ماح. عبيـ دك يـ ودون التشرف بالحديث إليك ...

صوت – لكنني نعسان ...

برهان – المعذرة يا ملك ملوك الجان ... إنهم يأملون فـ ي صبرك ... ويقبلون يديك والأرض بين قدميك.

صوت – طيب ... طيب ... ولكن اختصروا، فلقد استيقظت من حلم جميل ...

برهان – إنهم يريدون إلقاء بعض الأسئلة.

صوت – عن أي شيء ...؟

برهان – وهل هناك ما يشغلنا سوى المغول ...
صوت – آه ... سمعت هذه الأخبار أمس ... الساعة التاسعة ...
برهان – الأسئلة كلها عن حصار المدينة
صوت – يا برهان ... قل لهم أن يذهبوا ليحاربوا بدلا من الثرثرة وإضاعة الوقت.
(برهان مصدوما، فليس هذا هو الكلام الذي اتفق عليه. لكنه يلين الحديث في تملق ممزوج بالتهديد)
برهان – مولاي ... إنهم طامعون في كرم أخلاقك ... وهم من كبار القوم.
صوت – أنا تعبان، سهرة الأمس كانت إلى الصباح.
برهان – مولاي
صوت – حسن. لكل شخص سؤال واحد فقط لا غير.
برهان – (صائحا للجميع) هل سمعتم؟ (همهمات) نعم ... سؤال واحد فقط؟
صوت – (غاضبا) صمتا يا كلاب (برهان يصدم. لكنه يلين الحديث)
برهان – بهدوء يا سادة ... لا تغضبوا سيدنا شمهورش ... الأسئلة بلا ضجة ... ابدأ يا سيد فيروز.

فيروز – مولاي يا صاحب عرش الماس، وقصر المرجان
صوت – بلا نفاق
فيروز – أريد أن أعرف هل ستتمكن قـ وافلي مـ ن دخـ ول المدينة؟
صوت – هذا يتوقف على انتهاء الحصار
فيروز – ومتى ينتهي الحصار؟
صوت – قلنا سؤال واحد يا غبي
برهان – صمتا ... سؤال واحد ... الدور للوزير
بهاء – هل يكون لي فضل دحر المغول ...؟
الصوت – إذا دحرتهم ...
بهاء – وهل أستطيع؟
الصوت – هل أتيت لي بمغفلين؟ قلنا سؤال واحد ...
برهان – اسمعوا الكلام يا سادة، ولا تغضبوا ملك الجان. هيا أيها القائد ...
عياش – متى يرفع الحصار؟ وهل يكـ ون ذلـ ك بقوتنـ ا أو بوصول مدد من الخارج؟ أو نتيجة ضعف المغـ ول، وكم عددهم؟ وهل أتزوج بنت السلطان بعد النصر؟

وقبل ذلك هل أنال وصال زينب بنت سنان؟ وهـ ل
آمن لنائبي أم هو عميل للتتار كما يقولون؟

برهان – (مقاطعا) كفى ... كفى ... ما هذا كله؟

عياش – إنه سؤال واحد ... لكنه سؤال مفحم ...

برهان – مولانا شمهورش ... ما إجابتك على هذا السـ ؤال المفحم؟

الصوت – لو كانت الجن تلبس الأحذية لضربته بالحذاء.

عياش – (محتجا) مولاي ... إنني القائد عيـ اش شـ ارب الدماء ...

الصوت – طظ

عياش – طظ ... أنا يقال لي طظ؟ (مهددا) أنا لا أسـ مح ...

الصوت – (مقاطعا) أتتحداني يا عياش ...

برهان – رحمتك يا سيد الجان

الصوت – لا رحمة مع هذا المعتوه ...

عياش – أنا معتوه ... (عياش يسل سيفه)

عياش – لو كنت رجلا حقا، تعال وقاتلني كما يقاتل الرجال ...

الصوت – أنا لا أقاتل حشرة.

عياش – حشرة ... أنا حشرة؟
الصوت – لقد حكمت عليه أن يسخط قردا ...
برهان – يا ألطاف الله.
عياش – (مذعورا) قرد؟
برهان – ضاع الرجل ...
عياش – قرد؟
برهان – عفوك يا ملك الجان ...
عياش – لا ... إلا حكاية قرد هذه
برهان – اركع واطلب العفو يا عياش
(عياش يركع)
عياش – المغفرة يا مولاي ولكنك أنت الذي بدأت قلة الأدب ...
الصوت – خلاص ... انتهينا ... ولكن انتظر ما ستفعله بك زينب بنت سنان. انتهت الأسئلة ولا تزعجني مرة أخرى يا برهان (يتثاءب) أنا ذاهب لأنام.
(أصوات مخيفة وبرق، وتعود الإضاءة إلى ما كانت عليه)
عياش – إنه لم يرد على سؤالي
بهاء – ولم نعرف متى يرفع الحصار؟

فيروز – بصراحة هذا أخبث عفريت رأيته في حياتي.

عياش – وجبان أيضا ... لقد خاف مني

برهان – احمد الله يا رجل ... فلولا أن قلبه رق لكنت قردا الآن.

بهاء – ألا يمكن إقناعه بالرد على أسئلتي؟

برهان – فيما بعد ... ليس الآن ...

بهاء – هيا بنا يا رجال فأمامنا عمل مرهق.

(يخرج بهاء الملك، وفيروز، أما عيـ ـاش فيخـ ـرج متلكئا، ومن باب آخر يأتي منصور الذي يقترب من برهان، وبرهان يقابله في جفاء) هل ذهبوا؟

برهان – كنت سخيفا اليوم، ولا تطاق، ما حكاية هذا السؤال الواحد؟ ولماذا تشاجرت مع عياش؟ هل أنت مجنون؟ ثم لماذا هددته بتحويله قردا. لنفرض أنه تحداك ماذا كنت ستفعل؟ غبي ... غبي ...

منصور – لقد ضقت بالشعوذة

برهان – لا خير فيك ... (إنها أسهل وأربح مهنة في الدنيا ...)

منصور – خلصني منها أعزك الله ... وانظر في أوراقي لعلي أكون وصلت إلى شيء يقرر مصير المدينة ...

برهان – كلام فارغ ... ستقول لي بارود وحديد ... وشيء يخرج متنه ... لا ... لا ... لا لا تصدع رأسي بهذا الكلام ... الحرب يا ولدي يحسمها الحسام ويربحها الرمح.

منصور – إذن اسمح لي أن أعرض أوراقي على السلطان ...

برهان – إياك أن تفكر في شيء كهذا ... (القائد عياش يعود)

برهان – سيدي عياش ... (عياش يفتش في المكان) هل نسيت مفاتيحي هنا؟

منصور – مفاتيحك في يدك يا سيدي القائد ...

عياش – آه ... هذا صحيح ... أخزى الله الشيطان ... (متلكئا) إذن أترككم في سلام.

(عياش يسير حتى الباب متلكئا. ثم يعود بسرعة ويجلس على مقعد)

عياش – أنا جالس هنا ... ولن أترك هذا المكان قبل أن يرد شمهورش على سؤالي.

برهان – سيدي ...

منصور – سأكتفي بسؤال واحد ... هيا أستدعيه الآن

برهان – مستحيل

عياش – ولماذا؟

برهان – مستحيل تماما ...

منصور – ألم تعرف ما حدث يا سيدي؟ لقد عاد الملك شمهورش إلى بلاده، وما إن دخلها، حتى جاءت جيوش العفاريت الحمر، وحاصروا مدينته ...

عياش – (بدهشة) شمهورش محاصر (يضحك فجأة بسعادة) شمهورش محاصر ... يستحق. كان قليل الأدب – كان يريد تحويلي قردا ... (عياش يخرج وهو مازال سعيدا) أنا وشمهورش متساويان ... هو محاصر وأنا محاصر ... العفاريت الزرق والتتار ... حلوة ... حلوة

برهان – أنت ولد ذكي لولا جنونك بالبارود

منصور – آه لو سمعتني يا سيدي. ربما نصرنا الله بفكرتي.

برهان – لا تكن غبيا فالأفكار على قدر الرج ال. مثل ك لا يبتكر إلا الأفكار التافه ة. أم ا الأفك ار العظيم ة فيبتكرها العظماء مثلي.

(تدخل شوق ابنة برهان)

برهان – (ساخطا) – شوق؟ أين كنت؟

شوق – في السوق.

برهان – (لمنصور) اذهب أنت.

منصور – اسمح لي بلقاء السلطان

برهان – أنت تصدع رأسي بلا ج دوى ... س تذهب إل ى السلطان وتعرض عليه أوراقك فيحولها إلى. وأنا لن أقرأها (لشوق) لقد طال غيابك. كان الوزير هنا.

شوق – أحقا؟

برهان – كان يجب أن تكوني موجودة ...

منصور – يريد أن يزوجك من الوزير ...

برهان – اخرس يا ولد ... لا تتدخل في أموري العائلية.

منصور – لقد وعدت أن تزوجني من شوق.

برهان – هل استأجرك أحد لتصل بي إلى مستشفى المجانين ...

شوق – والله إن منصور شاب ظريف. وه و أوس م م ن
الوزير، ولا يعيبه سوى فقره. لم لا تساعده يا أب ي
وأنت قادر على تحويل الحديد إلى ذهب؟

برهان – يا بنت المجانين أتريدين حقا أن أدع الوزير يتزوج بنت السلطان، ويقضي على نفوذي

منصور – قلها بصراحة ... لقد تخابثت وتاجرت بعواطفي.

برهان – لو تاجرت بعواطفك لأفلست ... أن ت نفس ك لا تساوي درهما.

منصور – (غاضبا) أنت شيطان يرتدي ثياب إنسان.

برهان – (ثائرا) أتسبني يا ولد؟ (يتجادلان ف ي عن ف، وشوق سعيدة بالصراع حولها)

منصور – أنا أريد شوق

برهان – بعينك ...

منصور – وسآخذها غصبا عنك ...

شوق – يا حليلة ...

برهان – أخذتك مشنقة ...

منصور – لن يتزوجها غيري ...

برهان – سأزوجها للوزير ...

شوق – حلو ...

منصور – لن أعمل معك بعد اليوم ...

برهان – الباب يسع جملا

منصور – وسأعرض أوراقي على السلطان

برهان – اعرضها على شمهورش نفسه ...

(دقات طبلة المنادي تجعلهم يتشاجرون في صمت. وأثناء كلام المنادي يتغير المنظر إلى صالة العرش).

المنادي – يا أهل المدينة اسمعوا النفير ... إليكم البيان الأخير، أمر سلطاني إلى الوزير، إلى مدير عام الدعاية، إلى العبد الفقير، بشرى للجمع الغفير رجالنا البواسل انقضوا على التتار صالوا وجالوا، وأتوا بأسير، فسبحانه القهار المجير ... (للجمهور) لقد لمحته، نعم لمحت الأسير، في الحقيقة ليس هو بأسير. مديرية الدعاية التي أعمل تزوق الأشياء أحيانا، إنه رسول التتار إلى مولانا السلطان. ولكن لأن مدينتنا لم تأسر عدوا واحدا منذ سبعين عاما، فقد اعتبرناه أسيرا ... لا تغضبوا مني لقد أعجبني

الشاب ... ذلك الرسول ولد ولا الرجال. لقد حـ ـاول بعض الجنود قتله. لم تسنح لهم فرصة مقابلة عـ ـدو من قبل. ولكن الولد واجههم في شجاعة الفرسـ ـان. أقول هذا واستغفر الله لي ولكـ ـم ... (يشـ ـير إلـ ـى خشبة المسرح) الآن. في هذا المكان يأتون بالرسول ... أقصد الأسير ... ليستقبله مولانا السلطان بنفسه.

المنادي – يا أهل المدينة الكرام، اسمعوا النفير ... وإلـ يكم هذا البيان الأخير ...

(على المسرح بهاء الملك وبرهـ ـان فـ ـي انتظـ ـار الباقين).

برهان – لقد تغير الزمان ... كان مولانا السلطان بضـ ـرب عنق كل رسول تتري ...

الوزير – كان ذلك قبل حصار المدينة. لم نكن ندرك مـ ـدى قوتهم.

برهان – وأين هذا الرسول؟

بهاء – بين يدي عياش. وهذا ما يقلقني.

برهان – أتظن أن عياش قد يعرف منه معلومـ ـات يخفيهـ ـا عنا.

بهاء – أي معلومات من حقنا جميعا.

برهان – هذا هو العدل (فيروز يدخل مهرولا).

فيروز – أصحيحة هذه البشرى؟

برهان – بشرى؟

فيروز – قيل لي إن المغول بعثوا لنا برسول.

بهاء – وتسمى هذه بشرى يا شهبندر التجار؟

فيروز – ولم لا؟ عندما يبدأون الحوار بدلا من القتال، فهذا يعني إما ضعفهم أو رجوعهم إلى العقل. وفي الحالتين يجب أن نتفاءل.

بهاء – لقد تأخر عياش بالرسول. ومولانا السلطان على وشك الحضور.

فيروز – لا شك أنه يستشف منه الأخبار وحده.

بهاء – يكون قد أخطأ ... لأن الرسالة موجهة إلى السلطان لا إلى القائد عياش (عياش يدخل مع الكلمة الأخيرة).

عياش – أرى أن سيدي الوزير يذكرني دائما.

بهاء – ومن نذكر غيرك في هذا الوقت؟

فيروز – أين الرسول؟

عياش – موجود ...

بهاء – هل تكلمت معه.

عياش – بالتأكيد.

برهان – وما أخباره؟

عياش – ولم العجلة؟ سيأتي مولانا السلطان ونحكي كل شيء.

بهاء – هل تخفي عنا شيئا.

عياش – أبدا ... لكنني لا أحب تكرار الحديث.

برهان – لو كنا على بينة برسالته الآن، لكان أمامنا وقت للتفكير، حتى نشير على مولانا السلطان بما يجب.

عياش – أنتم لا تعرفون الصبر.

فيروز – حقا ... لماذا نحن قلقون هكذا ... إنها رسالة الخير إن شاء الله ... (السلطان يدخل ... يقفون له احتراما. يجلس ويشير لهم بالجلوس)

السلطان – أين الرسول؟

عياش – رهن إشارة مولاي

السلطان – دعه يدخل.

(عياش يشير ناحية الباب ... فيـ دخل أحمـ د فـ ي حراسة الضابط عدنان. الجميع ما عـ دا عيـ اش – ينظرون إليه دهشة لأنه ليس تتريا).

السلطان – أنت رسول التتار؟

برهان – نعم يا مولاي السلطان ... (تزداد دهشة الجميـ ع كما لو كانوا يرون أعجوبة).

فيروز – الله أكبر.

السلطان – أنت تتكلم بلغتنا.

فيروز – دلالة الخير إن شاء الله.

عياش – إنه ليس تتريا ... إنه عربي يا مولاي.

السلطان – رسول التتار عربي؟

برهان – خائن.

بهاء – جاسوس.

فيروز – كيف يكون هذا؟

السلطان – صمت (لأحمد) ألا يبدو لك الأمر غريبا بعض الشيء أيها الشاب.

أحمد – لقد رأيت في حياتي من العجائـ ب الكثيـ ر، حتـ ى صرت لا أعجب لشيء.

السلطان – تتحدث كعجوز رغم أنك على ما يبدو لم تتجاوز العشرين بكثير.

أحمد – عمر الإنسان لا يقاس بالسنين، بل بعدد المرات التي يختار فيها بين ما لا يجب وما لا يجب، بين الخط أ والخطأ.

برهان – إنه مهرج يدعي الحكمة.

السلطان – ألم يكن أفضل لك أن تختار عملا آخر.

أحمد – أنا صعلوك يا مولاي لا أخت ار عمل ي ... ولك ن العمل يختارني أحيانا، أنا دهشت لأني عملت قاضيا ذات مرة، فلقد عملت قبلها حطاب ا وكذ ت س عيدا ودخلت مدينة لأعمل فيها حاويا ي روض الثع ابين فاختارني الوالي ضابطا في جيش ه ... وص حبت قافلة كحمال فصرت في نصف الطريق قائدها، وفي نهاية الطريق سلموني إلى الشرطة. وعندما اختارني المغول لحمل رسالتهم، كنت أزرع أرضي.

بهاء – أنت تخدم أعداءنا.

أحمد – لا يا سيدي ... أنا لا أخدمهم في الحقيقة أنا لا أخدم
أحدا ... كانوا يريدون توصيل رسالة، ولم يجـ دوا
غيري ... هذا كل ما هنالك.

برهان – وكم قبضت أجرا لذلك؟

أحمد – كيسا من الفضة أخذه القائد

عياش – صادرناه لحين سماع أوامر مولانا السلطان.

السلطان – أنت لا تهمنا في كثير أو قليل ... ما يهمنا هـ و
الرسالة ... فهيا أعرض علينا الرسالة.

أحمد – حقا أنا أعمل رسولا لأول مرة، ولكنني أحب إجـ ادة
عملي مهما كان. ولذلك سأعرض الرسالة من نهايتها
... تيمورلنك خاقان التتار يعـ رض علـ يكم رفـ ع
الحصار عن المدينة!

فيروز – (مقاطعا) الله اكبر ... الله اكبر ... جاء النصـ ر
وعادت القوافل.

السلطان – اصعد إلى أول الرسالة.

أحمد – يريد الخاقان أن يؤكد صـ داقته لمـ ولاي السـ لطان
ولذلك يعرض عليكم المصاهرة.

السلطان – (ضاحكا) ليت الشباب يعود يوما ... ترى هل أصلح للزواج الآن؟

أحمد – بل الخاقان سيكون الزوج.

السلطان – زوج من؟

أحمد – مولاتي الأميرة ذهبية بنت السلطان.

(حالة استنكار وفزع تجتاح الجميع).

عياش – مستحيل

بهاء – إنه جنون

فيروز – حماقة

عياش – سيدفع الثمن هذا الوثني.

برهان – يا رحمة السماء ...

فيروز – أي شيء إلا هذا ... انه أعور أعرج.

السلطان – لم أسمع في حياتي بشيء أكثر سخافة من هذا الطلب.

برهان – أشير بقتل هذا الرسول فورا (عدنان يجرد سيفه).

بهاء – قتله ليس كافيا، لتقطع يداه ورجلاه من خلاف أولا ...

عدنان – أيسمح لي مولاي السلطان بقتل هذا اللعين.

عياش – (لأحمد) ألا تعرف أيها الأبله من هي ذهبية؟

عدنان – إنها أجمل وأطهر وأنبل ما في مدينتنا ...

برهان – إننا لا نستطيع أن نعيش لحظة بدونها.

ياقوت – مالي فداؤها.

بهاء – والله لو أنه طلب نساء الدنيا لكان أيسر من ذهبية.

عياش – لن نقبل بسماع طلب كهذا وفي المدينة رجل واحد، تسري في عروقه نقطة دم واحدة، ليوم واحد.

السلطان – أسمعت أيها الرسول. هذا هو الرد على رسالتك.

أحمد – عليّ إبلاغ الرسالة، وليس على نجاحها. في الحقيقة نجاحها أمر لا يهمني.

السلطان – لقد أجاب عني عقلاء مدينتي وسـ ـادتها ... لـ ـن أستطيع أن أغير رأيه ـم لـ ـو أردت، رغـ ـم أنـ ـي السلطان، ولن يستطيعوا تغيير رأي العامة لو أرادوا ... فذهبية أغلى ما في مدينتا.

عدنان – ما قيمة أي شيء إذا ما فرطنا فيها.

برهان – أرى يا مولاي أن نضرب عنق هذا الرجل أسـ ـوة بمن سبقوه من الرسل.

عياش – دعوه لي وسأختار – له قتلة يكتب عنها المؤرخون ألف سنة.

السلطان – أراك تبدو غير مكترث أيها الشاب، ألا تخاف الموت؟

أحمد – سيدي السلطان لقد وقعت بين أيدي التتار، ولم يكن بين يدي سوى فأسي كنت وحدي، وكانوا مائة ألف جندي. ومع ذلك فقد نجوت.

عياش – سيقتلك أصغر جندي في جيشي.

أحمد – لن تخيفني أيها القائد ... بعد أن أخذت كيس نقودي لم أعد أخاف.

بهاء – أطيحوا برأسه.

عدنان – أنفذ الأمر يا مولاي؟

عياش – معذرة في إلحاحي يا مولاي السلطان، ولكن إذا لم تسمح لي بإطاحة رأسه لن يهدأ بالي.

السلطان – وما رأى وزيرنا؟

بهاء – القتل فورا.

السلطان – وشهبندر التجار؟

فيروز – أوافق ... ولتبقى القوافل كما هي.

عدنان – أنفذ الأمر يا مولاي؟

أحمد – ألا تأخذ رأيي أيها السلطان أنا أيضا ...

عياش – اخرس ...

السلطان – أنت تدهشني أيها الشاب، هل تريـ دنا أن نأخـ ذ رأيك في قتلك.

أحمد – ولم لا يا مولاي ... فقد أكون مستشارا أكثر حكمـ ـة من مثل هؤلاء.

برهان – وقح.

السلطان – ولم لا نسمعه طالما سيموت في النهاية، إنه شيء طريف حقا ... تكلم يا ولد.

أحمد – تعرفون أن السفارة ثلاثة أيام ... والخاقان ينتظـ ـر الرد ... لذلك لن يحارب في هذه الأيـ ـام، بإمكـ ـانكم الاستفادة من هذه الفرصة (للقائد) ثلاثة أيام كافيـ ـة لسد الثغرة في السور الجنوبي (للشـ ـهبندر) وأقـ ـل منها كاف لنقل المؤن من المخازن في غرب المدينة إلى وسطها.

السلطان – هذا رأي مخلص حتى لو كان من رسول التتار.

عياش – نقتله ونتكتم الخبر ...

أحمد – فكرة جميلة لولا أن للتار جواسيسهم هنا ... وإلا فقل لي كيف عرفوا يا سيدي القائد أنك وقفت على باب زينب أمس في الساعة العاشرة مساء، وأنها القت الماء الوسخ على رأسك؟

عياش – كاذب.

السلطان – أميل إلى المحافظة على حياة الرسول ثلاثة أيام.

بهاء – وبعدها سيطير رأسك من على عنقك.

أحمد – لقد كسبت الحياة ثلاثة أيام في ثلاث دقائق، فلا تتعجل يا سيدي. من يدري ما يحدث في ثلاثة أيام كاملة؟

السلطان – حافظوا على هذا الشاب حياتك أيها الضابط مرهونة بحياته.

عدنان – أمر مولاي ... (عدنان يخرج بأحمد).

السلطان – هيه ... ما رأيكم يا رجالي؟

بهاء – وهل الأمر يحتاج إلى رأينا؟

فيروز – إن قلامة ظفر من أصابع ذهبية أغلى من حياتنا جميعا.

برهان – طلب أحمق ... ورسول أحمق ... وخاقان أحمق ...

عياش – أرجو تكتم خبر هذه الرسالة. لو سمع بها رجـ الي لثاروا.

فيروز – ما رأى مولانا لو أننا انتهزنـ ا الفرصـ ة وأدخلنـ ا قواتنا المحتجزة خارج المدينة خلال هذه الأيام.

عياش – وهل نتصور أن التتار سيغمضون العين إلى هـ ذا الحد؟

السلطان – لقد ضقت بهـ ذه الحـ رب ... أحلامـ ي تمتلـ ئ بالكوابيس ... أردد كلمات الأمل، ولكـ ن قلبـ ي لا يصدق شيئا منها ... قل لي يا برهان مـ اذا تقـ ول النجوم في هذا الأمر.

برهان – النصر لمولاي بإذن الله.

السلطان – هذا ما يطمئنني لم تخب لك نبوءة من قبـ ل يـ ا برهان ... فلماذا تخيب هذه المرة؟ (يظهر المنادي ... في الوقت الذي ينسحب فيه الجميع مـ ن قاعـ ة العرش).

المنادي – يا أهل المدينة ... أمر من مولانا السلطان لقد منح عهد الأمان، إلى رسول التتار أحمد الغلبان، وسيقيم ثلاثة أيام في هذا المكان، فـ لا يؤذيـ ه إنسـ ان، ولا

يجرحه لسان، وبعدها تكون الحرب وينصرنا الكريم المنان.

(يظهر على خشبة المسرح عدنان يدفع أحمد إلى الداخل).

أحمد – أنت عنيف بعض الشيء ... لكنك مع ذلك تعجبني.

عدنان – أما أنت فلا تعجبني على الإطلاق ...

أحمد – هذا لا يدهشني ... فأنا عادة أحوز إعجاب النساء، وأكسب العجائز، وأبهر الأطفال أما الشبان فلا يحبونني.

عدنان – أنت شديد الغرور.

أحمد – إنها ليست الصفة الوحيدة التي أحبها في نفسي ... أنا بصراحة أحوز على عديد من الصفات اللامعة.

عدنان – أنت لا تطاق ...

أحمد – أحقا؟

عدنان – ودنيء

أحمد – صحيح؟

عدنان – ألا تغضب للإهانة؟

أحمد – وهل أردت إهانتي؟

عدنان – طبعا.

أحمد – لقد اعتقدت أنك تقول رأيك فيّ ... ولأنني أعجوبة هذا الزمن لا يزعجني رأي أحد

عدنان – ماذا أفعل لتقبل مبارزتي؟

أحمد – أنت أحب إليّ من أن أسمح لنفسي بقتلك

عدنان – إهانة لا يغسلها إلا الدم ...

أحمد – اعتذر

عدنان – أنا لا أقبل اعتذارا ...

أحمد – حسن ... سأركع على قدمي أمامك طالبا المغفرة يا سيد الفرسان.

عدنان – أنت لعين

أحمد – وأنت ساذج مثلهم جميعا ... تريد قتالي لتصورك أنني خائن ... لكنني لست كذلك حتى لو حملت رسالة من الخاقان، لقد خيروني بين الموت وحمل الرسالة. وأنا أحب الحياة ... الرسالة كانت ستصل على أي حال ... وفي الحقيقة وجدتها لعبة ظريفة وأنا أحب اللعب ...

عدنان – هذه هي اللعبة التي ستكلفك رأسك ...

أحمد – كلما غلي الرهان، كلما احلوت اللعبة ...

عدنان – ماذا تريد بالضبط ...

أحمد – يا صاحبي لقد اكتشفت منذ زمن طويل أن الحياة لعبة سخيفة ظريفة ... مضحكة حمقاء ... ممتعة بلا طعم ... لذلك أردت أن ألعبها ... أنا لا أفعل إلا ما أهوى. لا أترك عقلي لأحد يعبث فيه. لا أحب السير إلا على حد السيف، ولا أنام إلا تحت ظل المشنقة، أعشق الدهشة وألتذ بالخوف، وأهوى السباحة ضد التيار ...

عدنان – تحقق لي أمنية عمري. لو قبلت مبارزتي.

أحمد – لا تلح علي ... فأنا أكره أن أرفض طلبا لشاب طيب القلب مثلك.

عدنان – ما رأيك في فناء القصر الخلفي بعد ساعة؟

أحمد – ما رأيك في هذا المكان والآن ...

عدنان – مستحيل ...

أحمد – لا تؤجل لحظة السعادة إلى الغد.

عدنان – الأميرة ذهبية تريد رؤيتك الآن ...

أحمد – الأميرة ذهبية؟ ماذا تريد مني؟

عدنان – لا أعرف ... لن أقتلك قبل أن تقابلها ...

أحمد – قل لي هل هي جميلة؟

عدنان – هي الجمال نفسه انتظر هنا ولا تتحرك ... سأذهب وأخبرها بوجودك ... ولا تنس موعدنا بعد ساعة

أحمد – في ساعة يحدث الكثير.

(يخرج عدنان، يسير أحمد إلى العرش، ينظر إليه يختبره، ثم يجلس عليه، يدخل المهرج)

المهرج – ماذا تفعل هنا أيها التتري؟

أحمد – أنا لست تتريا

المهرج – حتى لو لم تكن كذلك، لا يحق لك أن تجلس على هذا الكرسي.

أحمد – إنه مريح على عكس ما يقولون ... لعلي ألعب هذه اللعبة ذات يوم، لكنه لعبة ذات مخاطر. سهل أن تكون سلطانا ... وصعب أن تعود نفسك بعد ذلك ... أفضل لك أن تكون صعلوكا، فلا تفقد أبدا متعة الحلم ...

المهرج – أنت مجنون.

أحمد – هذا أنا فمن أنت؟

المهرج – أنا مهرج السلطان ...

أحمد – أرثي لك فليس أصعب من إضحاك سلطان في زمن الحرب.

المهرج – ليس أصعب من إضحاكه في زمن السلم ...

أحمد – تبدو حكيما أيها المهرج ... فما اسمك؟

المهرج – وهكذا تكسبني عدوا لك

أحمد – هوايتي كسب عداء الناس ... لكنني لم أكسب عداوة احد من قبل بسؤاله عن اسمه

المهرج – عندما يصفعونني على قفاي أضحك ... ولكنني أغضب عندما يسألني أحد عن اسمي ...

أحمد – أخي ... لقد اخترع الناس الأسماء حتى لا تضيع الديون ... فهل عليك دين؟

المهرج – المهرجون لا يعرفون الديون، يعرفها فقط من يأخذ الحياة مأخذ الجد.

أحمد – إذن لماذا لا تقول اسمك؟ خذ الأمور ببساطة وقل إنك قيصر الروم.

المهرج – سأقول لك اسمي ... ستعرفه بالتأكيد من الآخرين ... فلتعرفه مني أفضل ... اسمي عزة.

أحمد – ماذا؟

المهرج – أنت رجل طيب القلب ... بدأت بالدهشة في حين يبدأ الآخرون بالسخرية.

أحمد – ولكن لماذا؟

المهرج – وجه هذا السؤال إلى أمي ... لقد أنجبت عشرة أولاد ماتوا جميعا ... فلما ولدتني خافت علي من الحسد ... تصور؟ فأسمتني عزة ... وهكذا عشت، يبدو أن هذا زمن لا يعيش فيه الرجال.

أحمد – ماذا يهم الاسم ... أنت رجل على أي حال.

المهرج – عندما تضحك وأنت لا تريد أن تضحك، لا تكون رجلا.

أحمد – ظننتك سعيدا ...

المهرج – خذها قاعدة، كل من تظنهم سعداء ليسوا كذلك.

أحمد – لقد أفزعتني من عملك لن أفكر فيه مستقبلا.

المهرج – ومع ذلك ربما تكون مارسته من قبل ... فتش تحت ثيابك ربما كنت مهرجا وأنت لا تدري ف نحن جميعا نمارس التهريج والتسول والبطالة

أحمد – سيدي ... أنت العاقل الوحيد الذي قابلته في هذه المدينة.

(ذهبية تدخل مع عدنان ... المهرج يركع لها، فينحني لها أحمد، ويبدو عليه الانبهار طول لقائه معها ... عدنان يأخذ المهرج ويخرجان)

ذهبية – أنت الذي حملت رسالة الخاقان؟

أحمد – نعم

ذهبية – وما رأيك فيما جاء بها؟

أحمد – أنا حامل رسالة ... ولست مفتيا

ذهبية – اسمك؟

أحمد – أحمد الغلبان

ذهبية – أنت فقير؟

أحمد – لا أعتقد ... فقد لا أملك شيئا وأعيش هانئا ... وقد يؤرقني الطمع في قصر ولو امتلكته لتصدقت به لا عن كرم، ولكن ربما لأنني أكره القيود، والقصر قيد ... والمال قيد ... والحب قيد ...

ذهبية – هل جيش التتار قوي كما يقولون ...

أحمد – القوة تتوقف على وجهة النظر التي ننظ ر منه ا،
فالأسد أقوى من النمر والنمر أقوى من النملة والنملة
أقوى من الأسد

ذهبية – كيف تراه من وجهة مدينتا؟

أحمد – قوي جدا.

ذهبية – لماذا ترى مدينتنا ضعيفة؟

أحمد – لأن قائدكم يثقل جسده بالثياب الأنيقة.

ذهبية – أنت ضد الأناقة

أحمد – أنا ضد الترف

ذهبية – حدثني عن الخاقان ...

أحمد – ككل الغزاة ترينه ملطخ اليدين بال دم ... ينتص ر
بضعف أعدائه، يكسب بالخداع، لا يؤرق ض ميره
شيء ... قادر على أن ي زدرد أي مس احة م ن
الأرض

المهرج – وتريد لي الزواج من رجل كهذا؟

أحمد – أنا أحمل رسالة فقط.

ذهبية – أنت لا تجيد الدفاع عن قضيتك ...

أحمد – مأساتي يا سيدتي أن ليس لي قضية، فلقد كشفت منذ صباي أن الكل باطل. الحياة ليسـ ـت سـ ـوى لعبـ ـة. الذكي من يلعبها ويضحك بلا دموع ... قـ ـررت أن تكون لي دولتي الخاصة، أنا المواطن الوحيد فيها.

ذهبية – ألا ترى أنك أناني.

أحمد – بالضبط ... أنا أناني ومغرور، ولا مبالي.

أحمد – لماذا تحرص على إلصاق الصفات السيئة بنفسك؟

أحمد – لست كذلك يا سيدتي ... فأنا أيضا صادق ومحـ ـب للحياة وماهر جدا فـ ـي اسـ ـتخدام القـ ـوس والفـ ـأس والسيف؟

ذهبية – ماذا تتوقع ردا منهم على رسالتك؟

أحمد – الإنسان لغز يصعب قراءته.

ذهبية – أنت لا تعرفنا.

أحمد – أنا أعرف الناس

ذهبية – لماذا يريدني أنا بالذات؟

أحمد – لأن الناس كلهم يحلمون بك ... العروس الجميلـ ـة، الثرية، العريقة، التي ترفض الخطاب، وتدفعهم عن بابها ...

ذهبية – لقد رفضتهم لأنني لم أر فيهم الرجل الذي حلمت به.

أحمد – حتى الخاقان يرى أنه هذا الرجل

ذهبية – أنا لا أريد خاقانا ولا سلطانا ... أريد رجلا أحس دون أن أراه أنه رجل ... أريد رجلا هامته فوق السحاب، وقلبه يسير على الأرض، أريد رجلا صلبا أمام الشدة، لكنه أصلب أمام الرفاهية ألف مرة، أريد رجلا لا يقول إلا ما يفعل، ولا يفعل إلا ما يبغي، ولا يبغي إلا الخير، أريد رجلا لا يحني رأسه ومع ذلك فقلبه ينكسر أمام أهون الناس، لا يهم ما يملك، المهم أن يتملكه الحب.

أحمد – تستطيعين أن تجدي ألف سلطان، وألف خاقان، قبل أن تجدي رجلا كهذا.

ذهبية – هل هذا كثير عليّ.

أحمد – بل قليل، لكنك تبحثين عن المستحيل في زمن أصبح الممكن فيه مستحيلا.

ذهبية – هل عرفت إجابتي أيها الرسول.

أحمد – عرفتها منذ أن دخلت ... فلدي – إلى جانب مواهبي العديدة – القدرة على قراءة الوجوه.

ذهبية – وما رأيك؟

أحمد – لا تفعلي إلا ما تؤمنين به.

ذهبية – حتى لو كان في ذلك قطع رأسك؟

أحمد – رأسي يا سيدتي لا يهم أحدا سواي ... وأنا أعرف كيف أدافع عنه جيدا ... فلا تخشي علي.

ذهبية – وداعا أيها الرسول

أحمد – إلى اللقاء يا سيدتي ... أنا لا أحب كلمات الوداع.

(عدنان والمهرج يدخلان. عدنان يأخذ أحمد ويخرجان).

ذهبية – إنه شاب غريب.

المهرج – أدركت ذلك عند لقائي به.

ذهبية – في كلماته سخرية تخفي مرارة ... ومرارة تخفي صدقا.

المهرج – لقد كرهته قبل أن أراه ... ولكنني عندما رأيته أحسست أنني أعرفه جيدا.

ذهبية – نعم ... نعم ... لقد شاهدته مرات عديدة من قبل ... ولكن أين؟ عند مروري بالأسواق؟ بين الجموع التي أتت تهنئنا بالعيد؟ بين العاملين في البستان؟ لا أذكر.

المهرج – قد تكونين قد رأيته في كل هذه الأماكن يا مولاي.

(السلطان يدخل ضجرا ... وبعد لحظات يجلس على العرش).

السلطان – (لذهبية) أنت هنا ... لقد ضقت بكل شيء ... أصابني الأرق والسأم ... لا أبغض من اليأس، إنه يفسد على الإنسان كل شيء (للمهرج) سلني يا عزة ولكن لا تعد إلى ألاعيبك المعروفة فليس أقسى على ملول من نكتة قديمة.

المهرج – سمعا وطاعة يا مولاي ...

(المهرج يبدأ لعبة الأقنعة ... ستة أقنعة للسلطان والوزير والقائد والمنجم والشهبندر والأميرة، يرتدي كلا منها حسب الدور الذي يؤديه. وأحيانا يحكي دون أقنعة).

المهرج – يحكي أنه في سالف العصر والأوان، كانت هناك مدينة جميلة ... أسوارها منيعة، يفيض الخير فيه ا ... ولكنه لا شيء يدوم عل ى ح ال. فلق د حس د الآخرون المدينة على ما فيها وكان بي نهم س احر شرير حول أهل المدينة إلى تماثيل لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم. وكان على رأس المدينة س لطان عظ يم (قناع السلطان) ساءه ما أصاب مدينته ... ودع ا أطباء المدينة وحكماءها ليع الجوا الس حر، وأت ى الحكماء من جميع البقاع (قناع الوزير) أنا الطبيب الماهر. أعظم أطباء الدنيا كلها. سأفك الطلس م ف ي ساعة زمانية بشرط واحد ... (قناع الأمي رة) لأن أهل المدينة هم حياتها نقبل كل شروطك أيها الحكيم ... (قناع الوزير) كلام عاقل ... أريدك يا س ت الكل أن تصبحي جارية لي (يرفع القناع) ترى لو خبر أهل المدينة – هل يقبلون الشرط؟ لا ندري فهم لا ي رون ... لا يس معون لا يتكلم ون (قن اع الشهبندر) أنا أفضل أطب اء المش رق والمغ رب، سأقضي على السحر بإص بعي ... فق ط ... فق ط

أريدكم ... أن تبيعوني أرواحكم ... تجـارتي بـلا حدود ... ولكن أهم ما فيها تجارة الأرواح (يرفـع القناع) الاختيار الآن ... بين تماثيـل بـلا أرواح، وبشر بلا أرواح. (قناع المنجم) سيعود الناس كما كانوا ... بعد خطوة أو خطوتين. يـوم أو يـومين. شهر أو شهرين ... الزهرة التقت بالمريخ فأنجبـت السحر ويظهر القمر فيتم الطلاق (قنـاع القائـد) سأقاتل السحر اللعين أنا المنتصر دائما ... انتصرت في كل المهرجانات ... أخذت كـل النياشـين فـي الاحتفالات سأقتلك أيها الساحر سأقتلك.

عدنان – (من الخارج) اقتلني.

(يدخل أحمد متقهقرا وفي يده ثلاثة سيوف ويتبعـه عدنان ... وأفضل أن يعرض المشهد تمثيلا خـارج قاعة العرش بشرط مهارة الممثلين اللـذين يؤديـان دوري أحمد وعدنان في لعبة السيف).

عدنان – اقتلني ... اقتلني (السلطان يهب من مكانه).

السلطان – ماذا يحدث هنا؟

عدنان – أنصفني يا مولاي لقد ضاع شرفي.

السلطان – ماذا حدث أيها الضابط؟

عدنان – لقد بارزته فأسقط السيف من يدي ... توقعت أن يطعنني به، لكنه لم يفعل ... أخذت سيفا ثانيا فأسقطه من يدي وتكرر ما حدث – إنه شيطان.

السلطان – لقد أمرت بمنع المبارزات ... ألا تعرف ذلك؟

عدنان – دعه يقتلني يا مولاي، وإلا ضاع شرفي.

أحمد – أنا لا أقتل من أحب (يلقي لعدنان بالسيف) خذ سيفك أيها الضابط. إن شرف الإنسان لا يمس عندما يسقط السيف من يده. ولكنه يفقد شرفه عندما لا يلتقط السيف مرة ثانية وثالثة، ويقاتل إلى النهاية.

(يظهر المنادي في الوقت الذي يتغير فيه المنظر إلى غرفة الاستقبال في بيت كبير المنجمين)

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... إليكم هذا البيان ... (للجمهور) أمر مدهش حقا لقد وصل الولد إلى المدينة في الساعة العاشرة صباح يوم السبت. فكان كل الناس يريدون قتله. لكنهم اكتشفوا أنه واحد منهم وفي أقل من يوم كسب إعجاب الجميع أنا أول من فتن به ولكن ما أدهشني حقا، وجعلني أؤمن بأن في

هذا الولد سحرا لا يقاوم، أن مولانا أبا الكلام برهان دعاه إلى بيته. وسيدنا برهان من الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم. وهو من أعدى أعـ داء التتـ ـار ... بماذا تفسرون هذا؟ أليس بمهارة هذا الولد ... ولكن لنعد إلى عملنا فقد كثرت في هذه الأيـ ـام البيانـ ـات الهامة. (يعود إلى العمل) يا أهل المدينة الكـ ـرام، إليكم هذا البيان الهام ... (برهان وشوق يسـ تقبلان أحمد).

برهان – لقد شرفت بيتنا يا سيدي.

شوق – إنه شاب وسيم يا أبي.

برهان – صمتا يا شوق ... أمامنا أمور هامـ ـة (لأحمـ ـد) تفضل يا سيدي (لشوق) ألا تذهبين لإعداد الطعـ ـام ...

شوق – الجواري يقمن بإعداده.

برهان – تشرفين عليهم (لأحمد) ابنتي بارعة في كل شيء يا سيدي ... الجميع يريدون الزواج منها ... لكنني أقسمت ألا أزوجها إلا ممن يستحق ... فلـ ـيس لـ ـي سواها يرث ثروتي الكبيرة.

أحمد – يبدو يا سيدي أنك تريدني في أمر فلم لا تدخل إلى الموضوع مباشرة.

برهان – اقتراح طيب يدل على أنك رجل ذكي ... ولقد لاحظت انك رجل واقعي وسط مجموعة من الحالمين. هذا ليس ثرثرة بل دخول في الموضوع. فأنا أريد أن أعقد معك اتفاقا.

أحمد – أي اتفاق؟

برهان – أي اتفاق

أحمد – لست أفهم.

برهان – لا شك أنك تعلم مدى نفوذي في المدينة. حقا أنني لست السلطان. لكن كلمتي هي النافذة هنا، فالناس يؤمنون بما أقول، أنت تعرف سيطرة النجوم على العامة

أحمد – ثم ...

برهان – فكرت أنه بنفوذي المتواضع هذا قد أخدم مولانا الخاقان، فأزوجه من ابنتي شوق، وأصير واليا له على المدينة.

شوق – لا يا أبي ... أنا لا أريد الزواج من الخاقـان أنـه
أعور وأعرج.

برهان – اصمتي أنت

شوق – وعجوز أيضا ... زوجه من ذهبية كما يريد

برهان – هذه هي خطتي الثانية يا سيدي سأحقق له ما يريـد
بنفوذي ثم ... أصير واليا.

شوق – وأتزوج أنا من رسول التتار.

أحمد – أنا؟

برهان – خطتـان أرى أن تختـار واحـدة منهمـا ... أو
تعرضهما على مولانا الخاقان ليختار ما يشاء.

أحمد – غريب ...

برهان – وما الغريب يا سيدنا ...

أحمد – لقد كدت تقتلني عندما عرضت رسالة الخاقـان ...
ظننتك تحب حقا ذهبية؟

برهان – إني والله أحبها ... ولقد طلبت مخلصا قتلـك ...
ولكنني عندما عدت إلى البيت فكـرت. أن المدينـة
محكوم عليها بالسقوط ... ولو دخلها تيمور لنك فإنه

سيتزوج ذهبية ويطيح برؤوسنا جميعا ... فلم لا
يتزوجها، وتبقى رؤوسنا ...

أحمد – (ساخرا) قول حكيم ...

برهان – هل تحمل رسالتي إلى الخاقان.

أحمد – لا يا سيدي

برهان – (بدهشة) ولماذا؟

أحمد – لقد عملت رسولا مرة واحدة، وكفاني هذا لأن أتوب عن هذا العمل.

شوق – إذن ستتزوجني؟

برهان – اصمتي يا شوق.

شوق – يا أبي أريد أن أتزوج.

(أحمد يتهيأ للخروج)

برهان – إلى أين يا سيدي؟

أحمد – أهرب بجلدي يا سيدي، قبل أن تتزوجني ابنتك بالقوة ... وفي خططي ألا أتزوج قبل الستين من عمري ...

(أحمد يخرج)

برهان – هذا الشاب خائن، ويجب أن يشنق ...

(المنادي يظهر في الوقت الذي ينسحب فيه برهان وشوق).

المنادي – ونامت مدينتنا لأول مرة ليلة هادئة، والغريب أن الناس لم ينتهزوا الفرصة ليستريحوا بل قضوا الليلة في سرور ورقص وغناء لنكن أذكى منهم ونستريح انتظارا لأحداث اليوم التالي.

(ستار)

الفصل الثاني

(يرفع الستار عن الغرفة التي يقيم فيها أحمد ... أحمد يدخل حاملا في يده حمامة.وفي أثره عدنان يتبعه ساخطا).

عدنان – لا يحق لك ذلك ... الصيد ممنوع في م دينتا ... هذا أمر سلطاني ...

أحمد – لقد أصبحت مزعجا يا صديقي ... أنت تطاردني في كل مكان ...

عدنان – أنا أؤدي واجبي ...

أحمد – أعرف ... وكنت سعيدا في البداية وأنا أراك تس ير ورائي في كل مكان، تمنيت لو أن أمي رأتني أسير وخلفي ضابط محترم مثلك ... لكنك بإلحاح ك ي ا صاحبي جعلتني أكاد أكره الحياة، التي أحبها كثي را ...

عدنان – الصيد ممنوع. لابد من استخراج تصريح قبل ذلك ... ستعاقب عقابا شديدا.

أحمد – عقابي لنفسي سيكون أشد ... ضميري سيؤرقني ... فأنا لا أحب صيد الحمام، وأكره أن يصيد أحد ه ذا الطائر الوديع ولو بتصريح.

عدنان – إذن فعلت ذلك لتغيظني.

أحمد – أنت مغتاظ يا صديقي دون مجهود مني ... لو كنت لماحا حقا، لأدركت أن هذه الحمامة ليست كغيره ا من الحمام ... بقدر ما هي وادعة رقيقة ... هي في

حقيقتها شرسة ... وقاتلة ... ناعمة الملمس كالثعبان ... (يخرج رسالة من تحت جناحها) وه ذا ه و الدليل ...

عدنان – (بدهشة) ما هذا؟

أحمد – رسالة يا صاحبي ...

عدنان – مِن مْن؟ وإلى مَن؟

أحمد – لست أملك القدرة على معرف ة الغي ب ... لكنن ي أستطيع أن أخمن (يفتح الرسالة ويقرأ) من خاق ان التتار تيمورلنك.

عدنان – إنها لك.

أحمد – لا أظن ذلك (يقرأ) إلى رجلنا في المدين ة راق ب الرسول أحمد الغلبان. (متحدثا) الذي هو ص ديقك العزيز (يقرأ) إنه ماكر جدا (متحدثا) يقص دني طبعا (يقرأ) إذا أحسست أنه يلعب بنا اقتله ف ورا. يجب تسليم ذهبية خلال هذا الأسبوع .

عدنان – (بذهول) رجلهم؟ هل لهم رجال غيرك هنا.

أحمد – لست رجلهم يا هذا.

عدنان – لكن من هو؟

أحمد – (ساخرا) أعطني حريتي لأتنقل في المدينة كما أشاء وأنا أعرفه تماما ...

(عدنان ينتزع منه الرسالة)

عدنان – لابد أن أسلمها إلى القائد فورا ... بل أسلمها للسلطان نفسه ... ابق هنا حتى أعود ...

أحمد – أتتركني وحدي؟ ربما هربت ... أو ربما قتلني رجلهم.

عدنان – لا تتحرك من هنا ... وسأعود لك فورا .

(عدنان يخرج ... أحمد يجلس واضعا قدميه في وجه الداخل مباشرة ... يدخل فيروز الياقوتي، يتلفت حوله، ثم ينحني باحترام لأحمد).

فيروز – السلام على سيدنا سفير الخاقان الأعظم.

أحمد – (بدهشة) أنا؟

فيروز – لا ترفع صوتك يا مولانا، فلقد جئتك وللحيطان آذان ...

أحمد – وعيون أيضا ... ولكن ماذا تريد؟

فيروز – لا أجد وقتا للمقدمات، فأنا لا أحب أن يراني أحـ د هنا ... أريد منك يا سيدي أن تبلغ رسالة إلى مولانا الخاقان ...

أحمد – رسالة منك أنت؟

فيروز – نعم مني منى أنا ... قل له إن عبده فيروز الياقوتي شهبندر التجار في سلطنة شعبان الغازي أعـ زه الله، سيكون خادما مطيعا وشهبندر تجار أمينا في سلطنة تيمورلنك أعزه الله ... وأنني بقدر ما بـ ذلت مـ ن إخلاص ومحبة لمولانا السلطان شعبان، سأبذل لـ ـه أيضا كل الإخلاص والمحبة.

أحمد – هذا وفاء نادر.

فيروز – أنا خدوم بطبعي يا سيدي ... وقل له أيضا أنـ ـي سأعمل على تزويجه من الأميرة ذهبية بكل طـ اقتي ... فلا أغلى عندنا من الخاقـ ـان ولا مـ ن ذهبيـ ـة والطيبون للطيبات.

أحمد – حكيم أنت يا شهبندر التجار.

فيروز – وقل له بطريقتك اللبقة التي أعجب بها كثيرا –إلي عشرة قوافل خارج المدينة، فليسمح مولانا بـ دخولها

... ليس من أجلي والله، ولكن من اجل أهل المدينة الجائعين العراة.

أحمد – أنت رجل ينكر ذاته من أجل الآخرين.

فيروز – هذا صحيح ... كيف عرفت؟

أحمد – هذه هي الفراسة.

فيروز – لم يخب ظني فيك ... أبلغ الخاقان برسالتي ... واذكرني عنده بالخير ... وأنا لا أنسى أحبابي أبدا.

أحمد – ظننتك تحب ذهبية.

فيروز – إني كذلك ... ألا ترى أنني أختار لها أفضل زوج ... خاقان المشرق والمغرب؟

أحمد – ربما لا تريد ... ولا أبوها ... ولا الناس.

فيروز – ينطحون الصخر ... فعريسنا أقوى قائد عرفته الدنيا – أليس من الذكاء أن نقدمها له شاكرين، أفضل من أن يأخذها غصبا، ويأخذ معها أموالنا وأرواحنا.

أحمد – ذكاؤك صعب على فهمه ... فأنا أتوهم أن الحب هو كل شيء ... أو لا شيء

فيروز – ليس من المهم أن تفهمني ... ليس مطلوبا من السفراء أن يفهموا ... ما أريده منك أن تبلغ رسالتي إلى الخاقان كاملة غير منقوصة (بتودد) وبالطبع سأراعيك.

أنا لا أنسى خدمات الأصدقاء.

أحمد – ضع النقط على الحروف.

فيروز – لك عندي مكافأة مجزية.

أحمد – أحب التحديد.

فيروز – سأغنيك إلى أحفاد أحفادك.

أحمد – الشرط نور ... وعلى فكرة أنا طماع.

فيروز – قوافلي خارج المدينة ... لو دخلتها في أمان الله ... لك خمسة بالمائة ... سأقتسم معك إحداها.

أحمد – أنا لا أحب أنصاف الأشياء، أنما أتعامل بالواحد الصحيح.

فيروز – (حانقا) تريد " قافلة " قافلة بأكملها؟ عشرة بالمائة؟ هذا كثير ... الوزير نفسه يقبل خمسة بالمائة.

أحمد – لا تصرخ فللجدران آذان ... وأيدي أيضا.

فيروز – لكن هذا كثير.

أحمد – الرشوة على قدر الراشي ... وأنت شهبندر تجار كل الممالك.

فيروز – (باسما) أنت طماع فعلا ... لكنني أحببتك كولدي تماما ... خذ قافلة بأكملها ... أظن هذا كافيا وأكثر ... والله لم أدفع في حياتي أكثر من خمسة بالمائة.

أحمد – هل رأيت أحدا يخسر قافلة دون اكتراث.

فيروز – دلني على مجنون يفعل هذا.

فيروز – أدلك على نفسي يا سيدي.

فيروز – (مذهولا) تقصد؟ تريد ... تعني أنك لن توصل رسالتي ...

أحمد – ولا بمائة في المائة.

فيروز – أتعرف يا سيدي ماذا تعني قوافل فيروز الياقوتي ... حرير خراسان، وقماش الكوفة، ومماليك الصقالبة، وجواري الترك، وعطور سمرقند، وفاكهة الشام، وحلي القاهرة، وتصاوير فارس.

أحمد – كفى ... لن أفعل حتى لو أضفت إليها عين الخاقان الثانية.

فيروز – ولكن لماذا؟
أحمد – لأنني أحمق.
فيروز – (بعد تفكير) لك قافلتان. وإذا كنت طماعا يا هـ ذا ... فأنا بخيل ... وفي حياتي لم أرش إنسانا بعشرين بالمائة. والخاقان نفسه سأرشوه بأقل مما أخذت اقبل ما أعرضه عليك ولن أزيد درهما ...
أحمد – أنت تزيد من سروري يا سـ يدي ... فكلمـ ا زادت الخسارة، كلما احلوت اللعبة.
فيروز – احذر أيها السـ فير ... إذا لـ م تسـ تجب لطلبـ ي سأشكوك إلى الخاقان الأعظم.
أحمد – اذهب أنت والخاقان إلى الجحيم.
فيروز – (متراجعا) اخفض صوتك يا سيدي ... فللحيطان آذان. سأدعك الآن. نم جيدا وفكر في الأمـ ر ... لا تمل التفكير ... قافلتان لا تساويات رسالة فقط، بـ ل تساويات منصب الخاقان نفسه، قافلتان ... هذا كثير ...
(فيروز يخرج ... عدنان يدخل يتأمل أحمد كما لو كان يريد اكتشافه).
عدنان – من أنت؟

أحمد – (ممازحا) صعلوك لا يملك ج دارا، لكن ه ين ام مرتاحا إلى جوار أي جدار ... مشرد ب لا أرض، ومع ذلك فالعطر الذي يهز قلبه هو رائح ة الأرض ... ملعون في كل مكان، وموجود في كل مكان ... حالم في عصر أصبح الحلم فيه جريمة ... هذا أنا – يا صاحبي ...

عدنان – سأقتلك هذه المرة، وقسما بشرفي، إذا ل م أس تطع فهمك.

أحمد – يا صاحبي ... أنا مثل كل الألغاز الكبي رة، إذا ل م تفهمها في لحظة، لن تفهمها أبدا.

عدنان – الخاقان يهددك بالقتل، ومع ذل ك فأن ت رس وله، ترفض قافلتين رشوة من الشهبندر وتقبل كيسا م ن الفضة لتوصيل رسالة المغول ... لماذا؟

أحمد – صدق الشهبندر، فللجدران آذان ... إنه رجل عملي لماح ... لكنه مثل كل الذين يلعبون بالمال ... ذكي العقل، غبي الفؤاد.

عدنان – إنه خائن ... متآمر ... يري د أن يقض ي عل ى المدينة، ماذا كان يحدث لو لم أسمعه صدفة.

أحمد – على فكرة أنا لست ضد من يسترقون السمع من وراء الأبواب، فليست لي أخلاق السادة

عدنان – كان سقاء يحمل الماء إلى بيتنا. كان رجلا طيبا ... أو هذا ما كان يقوله أبي. ولما جاء عام العطش. كان يبيعنا الماء بكل ما نملك حتى الثياب ... فلما جاء الشتاء ... باعنا ثيابنا ... واليوم يريد أن يبيعنا نحن أنفسنا ... سأقتله (يشهر سيفه).

أحمد – اغمد سيفك يا صاحبي، لست قادرا على قتل كل من يريدون بيعك .

عدنان – لابد أن يعرف السلطان حقيقة رجاله.

أحمد – (بدهشة مفتعلة) ألا يعرفها؟

عدنان – سأبلغ السلطان بكل شيء.

أحمد – سكان القصة العالمية، لا يصل إليهم إلا الصوت الأعلى، وصوت الشهبندر أعلى.

عدنان – لن أسكت على الشر ... وإذا لم يعتدل ميزان العدل سأقومه بنفسي.

(عدنان يخرج وأحمد يبتسم متهكما، يظهر المنادي وخلال حديثه يتغير المنظر إلى ردهة فـ ي قصـ ر السلطان).

المنادي – في يوم الأحد غرة شهر محرم.. مرت بمـ دينتنا بعض الأحداث: انتهـ ز المغـ ول فرصـ ة الهدنـ ة، واقتربوا من المدينة فرسخا أو يزيـ د ... أصـ ابت الشياطين شابا عرف بالفتوة، فظل يصرخ حتى جن ... توقف عن العمل الرجال الذين يصلحون السور الجنوبي وطالبوا بأجر إضـ افي ... خنقـ ت امـ رأة مشهورة بالصلاح زوجها دون سـ بب ... اصـ طاد الشاب الغريب حمامة ... أعلن كبير المنجمين أبـ و الكلام برهان ظهور هلال شهر محرم فـ ي احتفـ ال كبير وظل الضابط عدنان والمـ نجم منصـ ور مـ ن الضحى إلى صلاة العشاء في انتظار المثـ ول بـ ين يدي السلطان.

(ردهة القصر ... ومنصور وعدنان يسيران جيئة وذهابـ ا، متبرمين من طول الانتظار)

عدنان – يبدو أننا لن نستطيع مقابلته أبدا ...

منصور – أنا من أسرة معمرة ... لو عشت مائة ع ام ...
لن أترك هذا المكان قبل مقابلته

عدنان – إن الأمر خطير

منصور – لديّ ما هو أخطر

عدنان – أنت لا تعرف ما عندي

منصور – وأنت لا تعرف ما عندي ... سأعرض عليه آل ة
تنهي الحرب.

عدنان – (باهتمام) ماذا تقول؟

منصور – آلة من الحديد يوضع فيها البارود، ويطلق.

عدنان – بلاهة ... سينفجر البارود في الآلة .

منصور – سنغلفه بكرة من الحديد، ف لا ينفج ر إلا عن د
سقوطها ...

عدنان – مستحيل ...

منصور – هل تكتم السر؟

عدنان – (بكبرياء) أنا ضابط يا سيدي ...

منصور – لقد أعددت واحدة ... ليست متقنة جدا ... لكنه ا
صالحة كما أتوهم.

عدنان – وجربتها ...

منصور – جئت لهذا ...

عدنان – وهذه الأوراق؟

منصور – إنها رسوم الآلة ...

عدنان – أرني إياها ...

(منصور وعدنان يفـ ـردان الأوراق، ويبـ ـدأن فـ ـي دراستها باهتمام شديد، ومرح).

عدنان – آه ... لقد فعلتها يا ولد ...

منصور – كمل شيء محسوب بدقة ...

عدنان – لابد أن تكون المسافة هنا قدر شبر ...

منصور – بالضبط ... لاحظ هذه الشبكة ...

عدنان – من الحديد طبعا؟

منصور – أنا صنعتها من النحاس ...

عدنان – عفريت أنت يا ولد ... كم تحتاج من الرجال للآلة الواحدة؟

منصور – ثلاثة ...

عدنان – ثلاثة؟ أظن أن اثنين يكفيان ...

منصور – لابد من ثالث يعد كرات البارود.

(عدنان منفعل ... يفك قلادة عن عنقه ويقدمها لمنصور).

عدنان – خذ هذه يا ولد ...

منصور – ولماذا؟

عدنان – لأي سبب ... ألابد من سبب؟ ورثت عن أبي شيئين: القلادة والسيف ... أقسمت ألا أفرط فيهما ما دمت حيا ... سأتحمل أثم النكوص عن القسم بشجاعة ... خذها لقد فرحت بها كثيرا، ويفرحني الآن أن تكون لك (يحتضنه) خذها ولا تنطق

(يأتي برهان من الداخل متوجها إلى منصور).

برهان – كما قلت لك بالضبط ... خولني مولانا السلطان دراسة مشروعك ... هات أوراقك واتبعني ...

(برهان يخرج ... عدنان مصدوم، ومنصور متوتر جدا ... يمسك الأوراق بقسوة ويكاد يمزقها، فينقذها عدنان).

عدنان – ماذا تفعل؟

منصور – طالما سخر مني ... أتريد أن أتبعه؟

عدنان – لا تتبعه ... ولا تمزقها.

منصور – ماذا أفعل بها؟ أزين بها جدار غرفتـي؟ أبيعهـا للتار؟ أتدفأ عليها في ليالي الشـتاء؟ أكتـب علـى ظهرها ما يشتريه أهل البيت من السوق، أصنع بهـا مراكب ورقية ألعب بها مع أطفال الأسرة؟ (يخرج منفعلا. ومن باب آخر يأتي الوزير).

بهاء – ماذا تريد يا بني؟

عدنان – أريد مقابلة السلطان يا سيدي ...

بهاء – بهذه البساطة ...

عدنان – إن الأمر خطير يا سيدي

بهاء – ولا تثق بقائدك؟

عدنان – بل أثق به يا سيدي ... لكنني لـم أجـده ... لقـد اختفى كما لو كانت الأرض قد ابتلعته.

بهاء – لابد أن يظهر ... أجّل الأمر إلى حين لقائه ...

عدنان – لكن الأمر عاجل يا سيدي ...

بهاء – كاد صبري أن ينفد أيها الضابط ... قل مـا عنـدك وخلصني ...

عدنان – لا أقوله إلا للسلطان.

بهاء – تقوله للسلطان، وللقائد، ولا تقوله لي ... ألا تثق بي يا هذا؟

عدنان – بل أثق بك يا سيدي ...

بهاء – إما أن تتكلم وإما أن تذهب إلى عملك، عيب عليك أن تترك مكانك ونحن في هذه الظروف.

عدنان – إنها مؤامرة يا سيدي ...

بهاء – (باهتمام) مؤامرة؟ من يدبرها؟

عدنان – الشهبندر يا سيدي ...

بهاء – هكذا؟ ضد من؟

عدنان – ضد المدينة كلها ...

بهاء – وكيف؟

عدنان – لقد ذهب إلى رسول التتار، وعرض عليه أن يبلـ ـغ رسالة منه إلى الخاقان ليكون من رجاله ...

بهاء – ابن الأفاعي ...

عدنان – وعرض رشوة هائلة على الرسول ...

بهاء – هكذا ... يريد أن يعملها السقا ... القربة بربع درهم ... ألا يكف أبدا عن البيع والشراء.

ولكن الرسول رفض الرشوة.

بهاء – رفضها؟ لماذا؟

عدنان – لا أدري يا سيدي ...

بهاء – إنها مؤامرة فعلا ... مؤامرة خطيرة، ويجب عليذ ا تكتمها ... اترك الأمر لي وإياك أن تبوح بما حدث لأحد ... ولا حتى لقائدك (يربت عليه بحذ ان) آه لنا نحن المخلصين. (يتغير المنظر أثن اء ظه ور المنادي إلى قاعة في قصر الوزير).

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... إليكم هذا البيان الهام ... نمت إلى مولانا بهاء الملك سيد الوزراء، الشـ ائعات التي يرددها العملاء ومن هم في خدمة الأعـ داء ... من أن الخطر زال من الألف إلى الياء ... ولاحـ ظ سيدنا انصراف العامة إلى الكاس والطاس (بصوت خفيض) وأكمل القلقاس احذروا أيها الناس ... مـ ن شائعات الوسواس الخناس ... وإياكم وفقـ د القـ وة والباس والآن يعقد رجال السـ لطان اجتماعـ ا فـ ي الأحراس (متحدثا) والأحراس كلمة بلا معنى لكن فرضها السجع.

(يخرج المنادي – في القاعة: الـ وزير والشـ هبندر وبرهان وعياش، والـ وزير يتلفـ ـت حولـ ـه يتفقـ ـد المكان).

عياش – ماذا تفعل؟

بهاء – الاحتياط واجب ...

عياش – هل تظن أن جواسيس التتار وصلوا إلى هنا؟

بهاء – يا سيد عياش نحن مقبلون على قرار هام.

عياش – خير إن شاء الله.

فيروز – وهل نجتمع إلا للخير؟ والله ما اجتمعنا إلا وكسـ ـبنا شيئا ...

برهان – هدفنا الصالح العام ...

فيروز – وصالحنا في الصالح العام

عياش – يبدو أنكم اتفقتم على شيء ...

برهان – نعم تدارسنا الأمر جيدا ...

فيروز – وحسبنا المكاسب والخسارة ...

بهاء – واستشرنا ذوي الرأي ...

برهان – وتوكلنا على الله، فعقدنا العزم.

عياش – على ماذا؟

برهان – تكلم يا سيدي الوزير ...

بهاء – بل تكلم أنت يا برهان ... فأنت أبو الكلام.

برهان – قرار خطير كهذا لا يعلنه إلا رجل في وزن سيدنا الوزير.

عياش – يا ألطاف الله ... تكلموا ... فقد بدأت أستريب ...

بهاء – حاول أن تستوعب كلامي أيها القائد ... فكر فيه بتمعن. نحن نعرف أن صنعتك هي القتال لا التفكير ... ولكن حاول معنا مرة واحد ... ولتكن الأخيرة ...

عياش – تكلم يا سيدي ...

بهاء – لقد فكرنا في أمر الحصار، وأمن المدينة، ورسالة الخاقان، وخير الناس، ورأينا أننا من الحصار في حصار – ولا منفذ إلا إذا أعملنا العقل ودبرنا الأمر.

عياش – حتى هنا الكلام واضح.

بهاء – رأينا ... ورأى ذوي الرأي معنا، أن المدينة محكوم عليها بالسقوط.

عياش – حاشا لله ... وأين سيفي ورمحي؟

برهان – الكلمات العنترية لن تنقذ حجرا واحد في سور المدينة.

بهاء – بالحسابات الدقيقة فرصتنا في الصمود أم ام التت ار
لأسبوع لا تتجاوز واحدا بالمائة.

عياش – هذه مغالطة ... حساباتي تقول شيئا آخر.

فيروز – ارفع النسبة إلى خمسة بالمائة، ولا تظلم الرجل يا
مولاي الوزير.

بهاء – حساباتنا دقيقة أيها القائد ... وهي تؤك د اس تحالة
صمودنا لأسبوعين.

عياش – غير صحيح ... أستطيع الصمود شهرا كاملا.

برهان – لنقل شهرين ... ثم؟

عياش – ربما أصابهم اليأس.

فيروز – طالما يطمعون في خيراتنا، لن يفقدوا الأمل.

عياش – قد يأتينا مدد من الخارج.

برهان – حلم إبليس في الجنة.

فيروز – كن ذكيا يا عياش وافهم الموقف ... التيار أق وى
منا.

برهان – هذا لا يقلل من قدرك.

فيروز – والله إن عياش يستطيع سحق تيمورلنك بضربة من
يده.

بهاء – لكنهم مائة ألف جندي ... هزموا جيوشا أقـ وى ... واستولوا على مدن أكثر منعة. لقد قتلوا سبعين ألفا، صنعوا من جماجمهم هرما، لا طاقة لنا بهم.

فيروز – لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

بهاء – أمامنا طريقان: الأول أن نركـ ـب رؤوسـ ـنا ونقاتـ ـل فلتسقط المدينة ويغتصب الخاقان ذهبية بلا زواج.

عياش – حياتي قبل هذا ...

بهاء – طبعا ... حياتك ستكون قبل هذا، حياتنا كملنا ... لن يترك تيمورلنك واحدا منا.

برهان – لن يقتلنا فقط ... فهو أخصائي فـ ـي التعـ ـذيب ... كسر للعمود الفقري ويظل الإنسان يصرخ ألما أياما قبل أن يموت ... هذه ميتة القواد.

فيروز – وبالطبع سيصادر أموالنا.

برهان – الطريق الثاني يا عيـ ـاش هـ ـو أن نقبـ ـل عـ ـرض الخاقان.

عياش – مستحيل ... هذا جنون.

بهاء – بل هو عين العقل.

برهان – إنه عرض كريم أعمتنا عنه الحماسة.

بهاء – رجل يريد السلم.

فيروز – وزواج نفخر به.

بهاء – لقد اتفقنا على أن السلم أسلم.

برهان – واتفق معنا ذوو الرأي من أهل المدينة على هذا.

فيروز – كفانا فخرا أننا سنصاهر سيد الدنيا ...

بهاء – لقد اتفقنا على المصاهرة، فإذا لم تكن موافقا عليها، سنضطر آسفين لأن نأتي بقائد جديد، يتفق معنا ... ليس هذا اقتراحي. لكننا مضطرون له ... والحجة موجودة: أنك فشلت أمام التتار.

عياش – أمحكوم على بالعار ولا أستطيع دفعه ... هل أنفقت كل هذه السنوات أحلم براية عالية، واسقط راكعا أمام أول غاز؟ أأكون شهيد حرب لم أخضها؟ لماذا أجد ظهري مكشوفا دائما؟ لماذا أجد نظراتي تسقط خزيا، كلما رفعت رأسي؟ اللعنة عليكم، وعليّ. اللعنة على كل طفل وامرأة. اللعنة على السيف والرمح والدرع وقصائد عنترة. اللعنة على الكبرياء والشرف والأمل. السيف في يد الجندي، والجندي مكبل بالخيوط، والخيوط في أيدي السادة. لا رأى للجندي،

عليه فقط أن يسلم سيفه كلما ترهل السادة. وأنا أسلم سيفي (يخرج سيفه ويتأمله) ظللت متشـ وقا إلـ ى النصر حتى علاك الصدأ (يقدم لهم السيف) هـ اكم سيفي. احرصوا عليه، فقد ثقلته المـ رارة. (يلقـ ي بالسيف) أمستحيل حتى الموت بشرف؟ كما تريدون يا سادة. أنا أركع مثلكم ... ذليلا، خانعـ ا، طائعـ ا (ينهار باكيا على ركبتيه) أنا أركع يا سادة. أركع.

بهاء – نحن آسفون ... لكنه ليس قرارنا وحدنا.

عياش – (نادبا) قبل أن أبدأ، انتهيت، قبل أن أبدأ انتهيت.

برهان – تماسك يا رجل.

عياش – رجل؟ الرجولة من نصيب بغي تزد ـي بـ إخلاص. لست رجلا ولا أنتم.

بهاء – هذا كثير.

برهان – ماذا نقول للناس لو عرفوا أن قائدهم فقد أعصـ ابه وانهار هكذا.

فيروز – إذا كان هذا ما تفعله في السلم، فماذا كنت سـ تفعل في الحرب؟

عياش – (نادبا) ستظل النياشين من الصفيح والجواد لزينة المواكب والسيف لقطع البطيخ ... لقد انتهيت.

(فيروز يقترب من عياش في مودة)

فيروز – كلنا نقدر موقفك ... ولكن قدر أنت أيضا موقفنا إننا لن نسمح لقائد أن يبني مجدا شخصيا على حساب صالح المدينة ... (فيروز يربت على كتف عياش، فيدفع يده في عنف).

عياش – لا أحب أن يعزيني أحد (يقف) هل اتفقتم على هذا الرأي؟

فيروز – نعم.

عياش – وهذا قرار الجميع؟

بهاء – نعم.

عياش – ولا رجعة فيه.,

برهان – مستحيل ...

عياش – إذن ملعون من لا يقدم لي كأسا. (الوزير يتقدم ليأتي له بكأس. عياش يتقدم وينتزع الزجاجة ليشرب منها).

عياش – دعوني أشرب لأغرق ضميري.

فيروز – تصنع خيرا يا سيدي ... فلا أفضل لصالح الإنسان من إغراق ضميره.

عياش – إنه يغرق يا سيدي ... يغرق ...

بهاء – تأكد يا عياش أننا احتجنا لجهد كبير حتى نغرق ضمائرنا.

عياش – إذن أنتم سبب أزمة الخمور في المدينة؟

فيروز – لقد فكرنا في كل شيء، إلا شيئا واحدا: من يضع الجرس في عنق القط؟

بهاء – ماذا تعني؟

فيروز – من يوصل رسالتنا إلى تيمورلنك؟

برهان – احذروا من رسوله ... إنه مجنون.

فيروز – لقد طردني رغم أنني عرضت عليه قافلتين.

عياش – أفعل هذا حقا؟ إنه لعين، ما زال ضميره طافيا، أرسلوا له زجاجة معتقة ...

برهان – لنبحث عن شخص آخر.

فيروز – وأين نجده؟

برهان – أصعب أن نجد رجلا أمينا، كتوما، شجاعا؟

عياش – لو وجدت هذا الرجل، وعرضت عليه أمرا كهـ ذا، سيقتلك.

بهاء – لا تتعبوا أنفسكم بالبحث عن رسول ... هنـ ـاك مـ ـن سيتولى الأمر عنا.

فيروز – من؟

بهاء – السلطان.

برهان – مستحيل.

عياش – أيوافق السلطان حقا على زواج الأميرة من الخاقان.

بهاء – ولم لا؟ سيوافق ... وهل هناك ما هـ ـو أغلـ ـى مـ ـن السلطنة.

برهان – أنت تقامر برقابنا جميعا.

بهاء – دعوا الأمر لي ... رقابكم أيها السادة في يد أمينة.

(يتغير المنظر إلى منظر السوق. في الوقت الـ ـذي يظهر فيه المنادي).

المنادي – (مناديا) يا أهل المدينة الكرام، إليكم هذا البيـ ـان الهام (متحدثا) يبدو أن رأسي حدث له شـ ـيء مـ ـا اليوم (مناديا) من الوزير بهاء الملك إليكم جميعـ ـا ... نظرًا لأن الناس تعبوا تعبا شنيعا، فقد تقرر إقامة

الأفراح سريعا (متحدثا) أليس هذا نقـ يض البيـ ـان السابق؟ أنا اليوم مصاب بحالـ ـة غبـ ـاء (مناديـ ـا) واليوم تحتفل البلاد بذكرى الزواج الثالث للسـ ـلطان رمضان بن حماد، الجد السابع عشر للسلطان شعبان فارس الفرسان (متحدثا) إنها مناسبة سعيدة حقـ ـا، ولكن ما الذي ذكرهم بها ... لقد مر عليها حـ ـوالي خمسة قرون ... ولم يحتفل بهـ ـا أحـ ـد مـ ـن قبـ ـل (مناديا) وبهذه المناسبة السعيدة، يهدي الوزير إلى الجميع الهدايا العديدة، مكيال من القمح، وآخر مـ ـن الشعير ... ونصف مكيال للطفل الصـ ـغير ... أدام الله عز الوزير (متحدثا) لماذا كل هذا؟ ولكن ماذا يهمني ... من يتزوج أمي سأقول له يا عمـ ـي. لـ ـن يفوتني الاشتراك في العيد. (المنادي يقفز إلى خشبة المسرح حيث الاحتفال بالعيـ ـد. بـ ـين الموجـ ـودين: شوق، والمهرج).

شوق – (للمهرج) أمتعنا بألاعيبك يا عزة.

المهرج – مهرج السلطان ... سلطان المهرجين.

شوق – لا تتدلل، فالعشرة مثلك بدرهم.

المهرج – بعض الناس أرخص.

شوق – إذا لم تتأدب ضيعت لك عينك، حتى تصبح أعـ ور مثل تيمورلنك.

المهرج – وأنت إذا لم تصمتي تركتك بعينيك مثل أمي.

المنادي – صلوا على النبي ... واجعلوا ليلتنا أنسا (منصور يدخل ... يمسك بيد شوق بعنف).

منصور – ماذا تفعلين هنا؟

شوق – دع يدي ... لماذا تمسكني هكذا؟ هل أنت من أهلي؟

المهرج – اتركها يا منصور تشارك الناس أفراحهم ...

منصور – أفراحهم؟

المنادي – اليوم نحتفل احتفالا كبيرا ...

منصور – لماذا؟

المهرج – لا يهم ... يقولون إننا شعب يحـ ب المـ رح ... وهي كذبة غريبة ... فلم أر واحدا حتى الآن يعرف كيف يضحك ...

المنادي – لا تفسد بهجتنا أيها الشاب ...

منصور – (لشوق) عودي إلى البيت.

المنادي – لماذا؟ حتى أضع بوزي في بوز مربيتي العجوز.
أريد أن أعيش وأنطلق .

المهرج – (المهرج يلبس قناع الوزير).
أمر ممن لا أعرف اسمه إلى من لا أعرف أسماءهم: احتفلوا ... لا تحتفلوا. امرحوا ... احزنوا ... نفذوا الأوامر يا كلاب.

شوق – أنه الوزير ... لقد عرفته.

المنادي – لعبة حلوة.

منصور – هيا يا شوق ...

شوق – الوزير يريد أن يتزوجني ...

منصور – شوق ...

شوق – وأنت ... وآخرون ... ولكن لا أحد يفعلها ...

منصور – عيب هذا الكلام هنا ... هيا معي.

شوق – لا يا حبيبي ... أنت تريد استدراجي إلى شارع مظلم ... وهل لا أعرفك؟

المنادي – في حياتي لم أرها إلا في الشوارع المظلمة.

المهرج – (قناع كبير المنجمين) اركعوا يا ملاعين ... يا خطاة ... يا أنجاس ...

شوق – إنه أبي ...

المنادي – بنت حلال ... لقد عرفت أباها.

(يدخل برهان ويصطدم بالمهرج الذي لا يراه من وراء القناع)

المهرج – اركع يا رجل ...

(برهان يمسك بالمهرج في غضب ... المهرج يرفع القناع بدهشة)

المهرج – سيدي كبير كبراء المنجمين.

برهان – هكذا ...

المهرج – سيدي ...

برهان – (لشوق في عنف) ماذا تفعلين هنا؟

شوق – اتفرج يا أبي مثل بقية الخلق.

المنادي – الليلة عيد يا مولانا ... (يدخل أحمد وعدنان).

برهان – سأجعل الخلق يتفرجون عليكم ...

أحمد – أتريد يا صاحبي أن تحرمنا من بهجة العيد.

عدنان – ستذهب بي إلى المشنقة ... وتنجو أنت كالعادة.

برهان – (لشوق) انصرفي من هنا (لمنصور) وأنت كيف تسمح بحدوث شيء مثل هذا.

أحمد – أنا لست في خدمتك ... أنا مفصول ومستقيل.

برهان – (للمهرج) نهايتك على يدي يا عزة ... (برهان يشير لعدنان بالاقتراب).

عدنان – نعم يا سيدي.

برهان – خذ هذا الولد إلى السجن (مشيرا إلى المهرج).

المنادي – أحمق من يسجن مهرج السلطان.

عدنان – ليست هذه مهمتي يا سيدي ... مهمتي حراسة هذا الشاب.

برهان – ما شاء الله ... وأنت كفؤ لها ... ولـ ذلك تترك ـه يتجسس علينا في الشوارع.

عدنان – إنه ليس جاسوسا.

المنادي – سيحولون هزلنا إلى جريمة سياسية.

شوق – إنه وسيم يا أبي.

برهان – اخرسي ... تعالي معي (يجذبها وراءه في عنف) وأنتم جميعا ستنالون العقاب. امرحوا، وسترون نهاية مرحكم ...

(برهان يخرج والمهرج يلبس قناعـ ـه ويقلـ ـده فـ ـي طريقة مشيه).

المنادي – أنا أعرفه جيدا ... سيرسل لنا جنودا ويقبضـ ون علينا.

منصور – لننصرف من هنا.

المنادي – أعرف مكانا أفضل.

عدنان – هيا بنا يا أحمد.

المنادي – لنتحرك ...

المهرج – أنا ... وأنتم ... أكسل من أن نترك هذا المكـ ان ...

المنادي – أنت في حماية السلطان.

المهرج – (بقناع السلطان) بل أنا سلطان هذا الزمان.

المنادي – احذر هذه اللعبة يا مجنون.

المهرج – (بالقناع) سلوني يا شباب.

المنادي – دعني أقتسم معك هذه اللعبة .

المهرج – اقتله يا سياف .

المنادي – أعطني هذا القناع.

المهرج – ابعد يا مهرج (المنادي يطارده حتى ينتزع منـ ه قناع الشهبندر ويلعبان وفجأة يدخل الجنود يحيطـ ون بهم جميعا)

عدنان – لم أقل لكم لا داعي لهذه اللعبة.

المنادي – ليلتنا أنس إن شاء الله (يتغير المنظر إلى غرفة سجن فيها: عدنان وأحمد والمهرج ومنصور والمنادي الذي يتحدث للجمهور). وحق من جمعنا من غير ميعاد، كانت ليلة ولا كل الليالي ... يكفي أننا ضحكنا فيها حتى الصباح ... بل يكفي أنه لم يكن فيها بيان واحد ... ألم أكن محبوسا؟ لم أكن أتصور أن طعام السجن رديء هكذا ... أتوا لنا بفاصوليا كأنها حبات حجر ... وبدلا من أن نأكلها لعبنا بها. أتعرفون من الذي كسب؟ (المساجين الخمسة يلعبون لعبة الحظ أحمد يكسب).

عدنان – (ساخطا) هذا هو الدور الثلاثون وأنت تكسب (أحمد يلعب).

أحمد – أكسب مرة أخرى.

منصور – حظك من نار.

المهرج – حظه كحظ الغواني.

المنادي – لقد انتهت آخر حبة فاصوليا معي.

المهرج – وأنا أيضا ... قضى هذا الشاب على ثروتي منها ...

منصور – لنلعب مرة أخرى ... (أحمد يلعب ويكسب).

منصور – يا للحظ ضاعت كل الفاصوليا.

أحمد – ما رأيكم أن ننام قليلا.

المهرج – هذه أول ليلة أنام فيها مفلسا.

عدنان – فكرة طيبة ... هيا ننام (يبدأون النوم جميع ا م ا عدا منصور الذي يظل ساهرا).

منصور – إنني أخسر دائما ... عاجز باستمرار ... لا قيمة لي ... لا قيمة لحياتي ليس أمامي سوى الموت ... (ينزل من السقف حبل مشنقة).

منصور – الموت هو الحل الوحيد ... ستبكي أمي كثيرا ... ولكن أية حياة هذه التي أعيش ها ... أتـ ـرك الآلـ ـة خرساء، ولا أستطيع شيئا ... لا حل سوى الم وت (منصور يحاول وضع رأسه في المش نقة لكنـ ـه لا يطولها).

أحمد – يلزمك كرسي ...

منصور – هل أنت مستيقظ؟

أحمد – كان يجب أن يكون الحبل أكثر انخفاضا.

منصور – ألا تقول شيئا؟

أحمد – هل تتوقع مني أن أطلب منك الرحمة بشبابك؟

منصور– إن أحدا لا يريد النظر في أوراقي.

أحمد – لا أرى هذا سببا كافيا للموت ... ومع ذل ك أذ ت وشأنك ... حاول أن تنزل الحبل قليلا تصبح عل ى خير ...

منصور – ستنام؟

أحمد – ولم لا؟

منصور – أنت تسخر مني يا سيدي.

أحمد – أنت تستحق ذلك ... فأنت لا تجيد فعل شيء حت ى قتل نفسك.

منصور – ألا تظن أن ما أفعله جبن ...

أحمد – على العكس أنا أرى التضحية بالحياة قمة الش جاعة ... هيا افعلها.

منصور – (منهارا) لست أدري ما أفعل ...

أحمد – افعل أي شيء ... المهم أن تفعل.

منصور – أنت لا تفهمني ...

أحمد – أنا لا أفهم أحدا هنا، ولا أحد يفهمني ... لكنني أكره البكاء والشكوى إذا ما أردت شيئا، أفعله، على فكرة أنت لن تقتل نفسك، المنتحرون لا يناقشون. تص بح

على خير. واترك هذه المشنقة الظريفـة. منظرها الجميل، سيساعدني على النوم.

(أحمد ينام ... منصور يجلس منهارا ... البـاب يفتح ويدخل الوزير ومعه بعض الجنود).

بهاء – استيقظوا ... أين عزة؟

المهرج – لا أعرف كيف أنام في هذه البلد ...

بهاء – هيا ... اخرج فورا ... إن السلطان في حاجة إليك.

المنادي – تخرج أيها المهرج في حمى السلطان.

بهاء – (لأحمد وعدنان) وأنتما أيضا اخرجا ...

المنادي – الرسول يخرج في حمى الخاقان، والضابط يخرج في حمى الرسول.

بهاء – أما أنتما فستجلدان حتى تعترفا أن أباكما من فصـيلة الحمير.

المنادي – أنا شخصيا معترف دون جلد.

بهاء – أنت بالذات ستجلد حتى يأتي أبوك ويعترف بنفسه أنه حمار.

المنادي – نهار أسود، لكن أبي مات ...

بهاء – ليست هذه مشكلتي. خذوه ...

(للجنود يأخذون المنادي).

منصور – سيدي الوزير ... أنا متقبل للجلد، بـ ل وللشـ نق أيضا، ولكن اسمعني أولا.

بهاء – أسمعك؟ لعلك تغني.

منصور – يا سيدي لقد ابتكرت آلة جديدة.

بهاء – لا تضيع وقتي ...

منصور – يا سيدي إن برهان لا يريد أن يسمعني (صـ وت صراخ المنادي وهو يجلد).

بهاء – هذا هو الصوت الذي أريد سماعه.

منصور – إذا لم تسمعني قتلت نفسي.

بهاء – خير تفعل.

منصور – سأقتلك.

بهاء – امسكوا بهذا المجنون، واجلدوه حتى يقر أن أباه وجد جده من البغال (الجنود يأخذون منصور ... يتغيـ ر المنظر إلى قاعة العرش ... يظهر المنـ ادي أثنـ اء التغيير وهو يئن من الألم).

المنادي – آه يا ظهري ... آه ... يا أهل المدينة الكرام ... آه ... إليكم هذا البيان الهام ... من وزيرنـ ا سـ يد

الدنيا وزين الشباب، الزموا الدور واغلقوا الأبـ ـواب ولا تخرجوا مهما كانت الأسـ ـباب ... آه ... ومـ ـن خرج تعرض للعقاب ... واسألوني أنا عن العقـ ـاب ... ستعضون في الأرض كالكلاب ... وتمضـ ـغون التراب ... أنا فعلتها أيها الأحباب ... من فقد أبـ ـاه، إياه أن يخرج إياه ... آه يا ظهـ ـري آه ... (قاعـ ـة العرش ذهبية يدخل الوزير).

بهاء – مولاتي الأميرة ... أين مولاي السلطان؟

ذهبية – في جناحه.

بهاء – أريده في أمر عاجل.

ذهبية – سيأتي حالا ... هنا سيعقد مجلس البلاط.

بهاء – أريده قبل ذلك.

ذهبية – أهو أمر خطير؟

بهاء – نعم.

ذهبية – ما هو؟

بهاء – بعض شئون الدولة.

ذهبية – هل لي أن أعرفها.

بهاء – ستعرفينها في حينها.

ذهبية – لم تكن تخفي شيئا عني.

بهاء – ولست أفعل ...

ذهبية – إذن قل لي ...

بهاء – أنا متعجل يا مولاتي.

ذهبية – أصبحت تكتم عني الأسرار يا بهاء الملك.

بهاء – لا يا مولاتي.

ذهبية – أنت تكذب ... لقد تغيرت.

بهاء – بل تغير الزمن.

ذهبية – مسكين الزمن نلقي بكل شيء على كاهله.

بهاء – لقد كبرنا.

ذهبية – أحقا؟ إنني أرى من حولي يصغرون.

بهاء – آسف ... أنا في عجلة من أمري ... يجب أن أذهب إلى مولاي السلطان الآن (يسـ ـير فتوقفـ ـه كلمـ ـات ذهبية).

ذهبية – بهاء الملك.

بهاء – أمر مولاتي ...

ذهبية – ألم تنس شيئا.

بهاء – لست أفهم.

ذهبية – إنها المرة الوحيدة التي قابلتني فيه ا، ولـ م تبثـ ي
غرامك ...
بهاء – أنت تدرين ما في قلبي يا مولاتي.
ذهبية – لقد تغيرت.
بهاء – حبي كما هو.
ذهبية – صوتك يفتقد إلى رنة الصدق ...
بهاء – أنت تعرفين أننا جميعا نحبك ...
ذهبية – وأنت؟
بهاء – أنا أكثرهم حبا لك ...
ذهبية – كان ذلك فيما مضى.
بهاء – بل أحبك أكثر.
ذهبية – لقد صرت أستجديك كلمات الحب.
(منفعلا) وماذا تتوقعين؟ لقد رددت علـ ى سـ معك
كلمات الحب ألف مرة احترق قلبي بهواك ... فماذا
فعلت؟ لا شيء – صغرت خدك، وسعدت بتحطـ يم
قلبي.
ذهبية – الحب عطاء.

بهاء – ولقد أعطيت ... وأعطيت ... وأعطيت ... ولم أحظ ولا حتى بكلمة.

ذهبية – أنت لم تعط غير الكلمات.

بهاء – حبي أسطع من أن لا يرى.

ذهبية – برهن عليه.

بهاء – حبي لا يمتحن.

ذهبية – برهن عليه إن كنت صادقا.

بهاء – مولاتي ... أنت تعطلينني عن أعمال الدولة ... يجب أن أقابل السلطان الآن. (بهاء يخرج. ذهبية تنتظ ر لحظة ثم تخرج ... من الباب الآخر يدخل المنا دي والمهرج وأحمد وعدنان).

المنادي – أنا عظامي تئن.

المهرج – احك لنا معجزة قيام أبيك من قبره.

المنادي – واحد من أولاد الحلال جاء وزعم أنه أبي. وأق ر أنه حمار، فتركوني وجلدوه.

المهرج – صاحبنا منصور ناله أيضا ما لا يستحقه ... لولا رشوتي للجلاد لكان يضرب حتى الآن.

عدنان – ألا ترون هذه الليلة جعلتنا أصدقاء.

أحمد – متى يبدأ مجلس البلاط ... لقد ضقت بهذه اللعبة ...

عدنان – ماذا تتوقع؟ لن يجرؤوا على قبول عرض هذا ه و المستحيل بعينه.

المنادي – إنهم مستعدون لأي شيء. إلا هذا.

المهرج – لا تتسرعوا.

أحمد – الخاقان.

المهرج – القرار الأخير للسلطان، وهو يحد ب ابنت ه حـ ب العبادة.

أحمد – لا يكفي أن تحب ... المهم كيف تحب.

عدنان – ألم تحب أبدا.

أحمد – ألا تراني إنسانا.

المهرج – حدثنا عن ذلك.

أحمد – لا تكن سخيفا.

المنادي – لنتسل بقصتك حتى ينعقد المجلس ...

أحمد – قصتي ليست للتسلية.

عدنان – لابد أنه حب عظيم ...

أحمد – أنا لا أحب إلا حبا عظيما (تـ دخل ذهبيـ ـة دون أن يحس بها أحد) .

عدنان – هل هي جميلة؟

أحمد – كأنها زهرة برية نبتت من الأبد، وإلى الأبد تعيش.

المنادي – وجهها؟

أحمد – نورانية القسمات كأنها نور الحقيقة في ظلمة عصرنا.

المهرج – عيناها؟

أحمد – فيهما ظمأ إلى الخير.

عدنان – قوامها؟

أحمد – كأنه كبرياء الكلمة الجريحة.

المنادي – بشرتها ناعمة؟

أحمد – كالحرير ... لكنها أيضا صلبة كالحديد.

عدنان – أية امرأة هذه؟

أحمد – لا تسأل كثيرا ...

عدنان – كأنني أعرفها.

المهرج – امرأة كهذه لابد أن يعرفها كل الناس.

المنادي – وتحبك؟

أحمد – لم اسأل نفسي هذا السؤال ... فأنا أعشق للعشق يا سادة.

المنادي – ألا تقل لنا من هي؟ (ينتبهون إلى وجود ذهبية فينحنون لها احتراما).

المهرج – مولاتي (يتفرقون: المنادي يقف عند الباب ... المهرج خارج خشبة المسرح. أحمد ينظر إلى ذهبية وهي تنظر إليه ... خلفه يقف عدنان في حراسته).

المنادي – مولاي السلطان شعبان الغازي حامي المشرقين والمغربين (يدخل السلطان مكفهرا يتجنب النظر إلى ذهبية ... ووراءه الوزير ثم يدخل برهان وعياش وفيروز ... ويسود الصمت المتوتر للحظات).

بهاء – اليوم تنتهي سفارة أحمد الغلبان رسول التتار. ونحن جميعا في انتظار قراركم الحكيم يا مولاي السلطان.

السلطان – نعم ... نعم ... لم يبق سوى ساعة ...

بهاء – بعدها يدك المغول المدينة إذا لم ترد على رسالتهم.

فيروز – حمى الله مدينتنا من كل شر.

السلطان – صحيح ... يجب أن نعلن قرارنا الآن ... آه ... قرارنا.

برهان – يبدو أن مولاي السلطان متعب.

السلطان – لا ... لا ... لست كذلك ... اقترب أيها الرسول لتسمع رسالتي (أحمد يقترب).

السلطان – أبلغ الخاقان أننا نشكر مسعاه للسلم، وأننا قدرنا رغبته الكريمة في مصاهرتنا (ذهبية تجلس منهارة) لا يا ابنتي ... لا تفعلي هذا ... يجب أن تكوني سعيدة ... أي بنت تطير من الفرحة إذا زفت إلى الخاقان ... ستصيرين ملكة على الدنيا كلها ... وسنصبح نحن من جملة رعاياك. (لأحمد) هل وعيت الرسالة جيدا أيها الشاب؟

برهان – (يقدم له رسالة) وهذه رسالة خطية ممهورة بخاتم مولانا السلطان زيادة في التأكيد.

أحمد – كنت أريد أن أقول ...

بهاء – (مقاطعا) احمل الرسالة كما هي.

فيروز – ليس على الرسول إلا البلاغ.

أحمد – لكنني لست رسولا محترفا ... أنا مازلت في مرحلة الهواية.

برهان – لسنا في موقف يسمح بالهزل ...

أحمد – في حياتي لم أكن جادا مثلي أنا الآن ... مولاي السلطان ... أنا أعرف أن طلبي هذا يأتي في وقت غير مناسب ... لكنني لم أجد أبدا وقتا مناسبا لأن أطلب يد الأميرة.

السلطان – مجنون.

بهاء – أحمق.

عياش – هكذا.

برهان – اضربوا عنقه، وأبلغوا الخاقان.

فيروز – هذا زمن اختلت فيه كل الموازين.

أحمد – أعطوني فرصة كما أعطيتم للخاقان.

السلطان – ليس لدي وقت أضيعه مع المجانين.

عياش – هذا الولد لا يقتل إلا بالنعال.

بهاء – يا دنيء، بنت السلطان لا يتزوجها إلا رجل في مقامها.

أحمد – هذه وجهات نظر ... ومع ذلك فأمي ترى أن مقامي كبير.

عياش . اقتلوه وأريحونا.

برهان – وماذا ستدفع لها مهرا يا صعلوك؟

فيروز – ما تطلبه ... أنا لا أملك شيئا، لكنني قادر على أن آتي لها بما تريد.

برهان – يكفيه ثقل دمه لرفضه.

السلطان – يا بني ليس قلبي خاليا لهذه الترهات، وإلا لكنت ضحكت عليك أكثر مما أضحك على مهرجي ... ماذا ستفعل مع الخاقان إذا تحقق ما تريده؟

أحمد – سأحميها منه.

عياش – هكذا؟ وحدك؟

أحمد – إلا إذا رأيتم أنه من واجبكم مؤازرة صهركم ... وأظن أن الشهامة تفرض عليكم ذلك.

بهاء – أرى إيداعه مستشفى المجانين.

عياش – إنهم مائة ألف يا أبله.

أحمد – بل ينقصون سبعة، قتلتهم بفأسي.

عياش – هذا الشاب يريد دفعي إلى الجنون.

السلطان – إذا كنت غير قادر على حمل الرسالة، بعثنا برسول آخر ...

برهان – لقد أشرت منذ ثلاثة أيام بذبحه، ولقد تأخرنا في ذلك كثيرا.

أحمد – تتكلمون جميعا ... ولكن لم تسألوا الأميرة؟

بهاء – نسألها عنك أنت يا صعلوك.

برهان – لقد رفضت من هم أفضل منا.

بهاء – وأعظم.

فيروز – وأغني.

أحمد – أعطوني فرصة ...

فيروز – وهل نعطي فرصة للصوص؟

أحمد – (للأميرة) سيدتي، أنا أعرض عليك الزواج ولا أحلم أن توافقي ... ولا أتصور أن توافقي ... ولكنه الحل الوحيد لمواجهة الموقف ... سأكون خادما لك ... ولا أكثر من هذا.

ذهبية – قبلت.

السلطان – ماذا؟

ذهبية – قبلت عرض هذا الشاب.

برهان – هذا يوم لا يعلم إلا الله نهايته.

السلطان – لا تعقدي الأمور يا ذهبية.

بهاء – زواج الأميرة لا يخصها، بل يخص الدولة كلها.

فيروز – إن هذا الولد طامع في ثروة الأميرة.

برهان – سادتي ... إذا كانت الأميرة تريد حماقة الزواج من صعلوك، فهذا شأنها. ولكن إذا كان هذا الزواج يهدد رقابنا جميعا ... فهذا شأننا ولا شيء يحفـ ظ عليذ ا حياتنا سوى زواجها من الخاقان، تصرف يا عياش.

عياش – (لعدنان) أيها الضابط ... اقتل هذا الرسول ...

(عدنان يخرج سيفه، يقف لحظه ثم يعطيه لأحمد).

عياش – ماذا تفعل أيها المجنون.

برهان – ضباطك خونة أيها القائد.

عدنان – (لأحمد) أنتم ملاعين، ترك لي أبي قلادة وسيفا، أخذ أحدهم القلادة وأنت تأخذ السيف.

عياش – ستعدم أيها الضابط ...

عدنان – أعرف ولكن بيد من؟ (عدنان يخرج).

عياش – أتظن أنك قادر على قتالنا جميعا ...

أحمد – لا أظن ... أنا متأكد يا سيدتي ... فهوايتي تحـ دي المستحيل.

السلطان – يا بني احفظ حياتك من أجلي ... أنا لا أريـ د أن أرى دمك. اغمد سيفك.

أحمد – مولاي ... ألا تلاحظ أن السيف بلا غمد.

عياش – (ينهض) سآتي بمن يقبض عليك.

أحمد – لو تقدمت خطوة واحدة فسأجعل السلطان يرى دمك، وهو لا يحب منظر الدماء ... وعلى فكرة أنا ماهر جدا في لعبة السيف (لذهبية) حتى أعمال المنـزل لن تتعبي فيها ... أجيدها (لعياش الذي تقدم خطوة) مكانك (لذهبية) في ليالي الصيف سآخذك في نزهة على البحر (لعياش) لا تتقدم (للسلطان) وتستطيع يا مولاي زيارتنا يوم الجمعة.

السلطان – لم أر في حياتي شيئا مضحكا كهذا ... ولكنني لا أستطيع الضحك ...

(يدخل عدنان حاملا سيفا).

عدنان – أنا معك يا صاحبي.

عياش – يا فرحتي ... اثنان ضد جيوش الأرض ...

أحمد – وما فيها؟ الجيش أكثر من جندي ... ونحن أيضا أكثر من واحد.

برهان – (لعياش) ألا تستطيع قتل هذا الأفاق؟

السلطان – يا بني لنتفاهم ز

فيروز – هذا الشاب يطمع في نصف ثروة المدينـة علـى الأقل.

السلطان – سأعطيك ما تشاء ... واترك هذا الأمر.

أحمد – هل أنت قادر أيها السلطان أن تعطينـي الإحسـاس بالسعادة وأنا أمارس حماقتي.

السلطان – (لذهبية) إنه يعترف بحماقته.. ابعدي عنه .

أحمد . (لذهبية) قفي ورائي .. ولا تخشي شيئا، فإن لـي ألف ألف عين أرى بها ما ورائي ... هـل تعجبـك هذه اللعبة؟

ذهبية – أنا لم أر جنونا مثل هذا ...

أحمد – وهل هناك حل أمامنا سوى الجنون ... التصقي بي ونحن خارجان ...

برهان – مجموعة من الحمقى.

بهاء – رقابنا ستضيع في لعبة.

السلطان – كفى سخافة ... سأعفو عنكم جميعـا ... ولكـن دعكم من هذا ... ذهبية ... ابنتي اسمعي كلام أبيك.

ذهبية – الزوج أحق بأن يطاع.

برهان – يحق للسماء أن تسقط على الأرض في يوم كهذا.

عياش – كأني في كابوس.
السلطان – يا بني كن ولدا طيبا وكف عن الحماقة.
لا تضيعوا الوقت يا سادة ... فلم يبق إلا قليل علـ ـى انتهاء السفارة ...
برهان – سفارة نحس.
فيروز – إن هذا لا يليق بهيبة السلطنة.
أحمد – ورائي يا أميرتي.
عدنان – وأنا أحمي ظهرك يا صاحبي.
فيروز – نصف ثروتي وأفهم لماذا يحدث هذا.
عياش – قف ... يا أبله أتعرف ما تواجه: مئات الألوف من الجنود، قادة لم يهزموا من قبل، تيمورلنك، غابـ ـات من السيوف والحراب والسهام.
أحمد – (مقاطعا) أعرف لقد رأيتهم بنفسي ... ولا يحدثك مثل خبير (صوت هائل يجعلهم ينتبهون).
فيروز – يا ألطاف الله.
عياش – لقد بدأوا.
السلطان – كارثة.
بهاء – ضاعت أرواحنا.

فيروز – ضاعت أموالنا.

عياش – لابد من عمل سريع يا سادة.

برهان – العقل ... يجب تدبير الأمر.

السلطان – أتتركيني يا ابنتي في وقت كهذا.

أحمد .أبوك هذا يا أميرتي رجل مزعج ... لا يملك سـ وى الكلمات ... والله لولاك ما صاهرته.

(منصور يدخل مندفعا).

منصور – إنها تعمل ... إنها تعمل.

أحمد – الآلة العجيبة؟ يا سيدي كل العجائب تعمل الآن ...

(منصور ينظر إلى ما يحدث بدهشة).

منصور – ماذا يحدث هنا؟

عدنان – نحاول إنقاذ الأميرة.

منصور – من الخاقان؟

عدنان – من الجميع.

منصور – وأنا معكم.

فيروز – لا شيء ينضم إلى لا شيء ...

برهان – يا معتوه أمك في حاجة إليك ...

أحمد – هيا إلى تلك الآلة ... سيروا خلفي ... سأخرج بكم من هنا ... فقط ثقوا بي ... حقا أنا مغرور جدا ... لكنني أيضا بارع جدا ... (يسيرون إلى الخارج وبينهم الأميرة ... الجميع في ذهول).

بهاء – تحرك أيها القائد ... افعل شيئا.

السلطان – لا ... توقف ... إن ابنتي معهم.

بهاء – ابنتك لا تهمنا الآن ... لقد فقدناها وانتهى الأمر.

برهان – رقابنا أغلى من كل شيء.

فيروز – أصبحنا لا نساوي درهما (يدخل المهرج يرتدي قناع القائد في يده سيف يلوح به).

عياش – ما هذا.

السلطان – ليس هذا وقت الهزل يا عزة.

المهرج – دعوني أسليكم ... أنتم تعساء في حاجة إلى من يسرى عنكم ...

عياش – إذا لم تبتعد عن هنا قتلتك.

المهرج – لا تكن بطلا على حسابي يا سيدي ... فأنا أمسك بالسيف لأول مرة في حياتي ولا شك أنك أقوى

وأشجع وأمهر ... ولكن السيف أحيانا يط ول ع ن تقدير الجاهل مثلي.

بهاء – لا تكن سخيفا.

المهرج – شاهدوني وسترون لعبة قد تكون أمتع من كل م ا قدمته لكم من قبل.

السلطان – كفى يا عزة ... لا نريد أن نرى شيئا.

المهرج – مولاي ... لا تحرمني من هذه اللعبة بال ذات ... لن أسمح لأحد منكم بالخروج حتى ألعبها ... أموت وأعرضها عليكم ... إنها لعبتي الأخيرة ... (يصعد الممثلون على المسرح في تحية النهاية: ذهبية ب ين أحمد ومنصور وعدنان والمهرج ... وفي الجان ب الآخر، السلطان وبهاء المل ك وبره ان وفي روز وعياش وشوق ... والمنادي يقف في الوسط).

المنادي – هذا ما حدث في مدينتا حتى الثاني من شهر محرم (مشيرا إلى مجموعة السـ لطان) ه ؤلاء السـ ادة انتظروا في مخادعهم ما سيحدث: هل يأتي التت ار؟ هل ينجح الصعاليك حقا في إنقاذ الأميرة؟ هل تحدث معجزة هل تحدث كارثة؟ مجرد تساؤلات قلق ة ... (مشيرا إلى مجموعة ذهبية) أما هؤلاء فقد ساروا بالأميرة إلى حيث لا نعلم ... لكنهم بالتأكيد س اروا في طريق خطر ... في كل شبر فخ، وفي كل ف خ

رمح، وفي كل رمح حقد، من أراد السلامة فلينضم
إلى هؤلاء (مشيرا إلى مجموعة السلطان) ومن
أراد وجع القلب فليحمل سيفه ويتبع هؤلاء (مشيرا
إلى ذهبية ...).

" ستار "

النهاية

تم بحمد الله